أشعارٌ نُثِرت وكلماتٌ سُطِرت

تصنيف

د. حمزة بن فايع إبراهيم
آل فتحي عسيري



١٤٤٢هـ-٢٠٢١م

- لكلِّ شيءٍ صناعةٌ، وصناعةِ العقل حسنُ الاختيار. (الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه اللهُ).

- أما الشعرُ فإنه ديوانُ الأدب، وفخرُ العرب، وبه تُضرَب الأمثال، ويفتَخِر الرّجالُ على الرجال، وهو قيدُ المناقبِ ونظامُ المحاسنِ، ولولاهُ لضاعَتْ جواهرُ الحِكَم، وانتشرت نجومُ الشّرَفِ.(المظفر بن الفضل).

- يجبُ على الرجل تأديبُ ولده، والشعرُ أعلى مراتبِ الأدب (معاوية رضي الله عنه).

- ما أنا لشيء من العِلم أقلَّ مني روايةً للشِّعر، ولو شئتُ أن أنشدُ شعرًا شهرًا ، لا أعيدُ بيتًا لفعلت.

الإمامُ الشعبي رحمه الله

المفتاح

"الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْطِقِ الْبُلَغَاءِ بِاللُّغَى فِي الْبَوَادِي، وَمُودِعِ اللِّسَانِ أَلْسَنَ [أفصح] اللُّسُنِ الْهَوَادِي، وَمُخَصِّصِ عُرُوقِ الْقَيْصُومِ [نبات عطري] ، وَغَضَى الْقَصِيمِ [نوع من الشجر] بِمَا لَمْ يَنَلْهُ الْعَبْهَرُ وَالْجَادِي [نباتان] ، وَمُفِيضِ الْأَيَادِي بِالرَّوَائِحِ وَالْغَوَادِي.. بَاعِثِ النَّبِيِّ الْهَادِي، مُفْحِمًا بِاللِّسَانِ الضَّادِيِّ كُلَّ مُضَادِي، مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَنْ حَضَرَ النَّوَادِيَ، وَأَفْصَحِ مَنْ رَكِبَ الْخَوَادِيَ" [1] [الإبل أو الخيل السريعة] ،(١) صلّى اللهُ عليْهِ وعَلى آلِه وصَحْبِه فُرسانِ العَوادِي في البَوَادي ، وسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا إلى يومِ التَّغابُنِ والتَّنادي.

---

(١) مختصرة من مقدمة القاموس المحيط.

أما بعد:

فـإنَّ للشـعرِ رياحينَـه الغانيـة، وبسـماتِه الدانيـة ، وأندائـه الضـافية، فأحببتُ وقد جمعتُ منها دررًا ، وادخرت فيها عبـرًا ، أن أقُصَّـها منثورات ، وأبعثَهـا حكايـات، وأسـوقها ترنيمـات ، وقـد تزيّنـت بمحاسنِ الكلام ، ومبـاهجِ الغـرام ، وجـواهرِ المـرام، لأنَّ القصـدَ التقريب ، وتحسينُ المعنى والتجويد، وإفادةُ البعيـد والقريـب..! فكم للشعر من أحبـاب ، وكـم يؤمـه مـن أصـحاب ، وتنـافس فيـه أربابُ الجاه والكتاب!...

ولـم يزل بحشدِه وعسكره ديـوانَ العـرب، ومنتهـى الأرب، وخيـرَ المعـالي والرتـب، تُجمَّـلُ بـه المجـالس، ويهـدى بـه المـؤانس، ويحفـز الهـاجس..! ففيـه الحكمـةُ والمثـل ، والمجـدُ والأمـل ،

والعلـمُ والطلـل. وفيـه تجـاربُ النـاس وعبـرُهم ، وشـمائلُهم ودررُهم ، وسماتهم وغُرَرُهم. يغـرّون بـه الأعـين ، ويجمّلـون بـه الألسن ، ويملؤون به المسكن.

فملافظُه سبائك ، ومعانيه ملائك ، ومراميه مسـالك . مَـنْ حفِظه ارتفع، ومَنْ وعاه انتفعَ ، من تمثلَ به صـدَع، فكـان حديثُه قويًـا ، وكلامُه دويا ، وخطابه عليًا. لا ينازعه مُنازع، ولا يجاريه مقـارعٌ ، ولا يشابهه مطالع، قد لانَت لـه المجـامعُ ، ورضـخت المسـامع ، وتهيبته المطامعُ.

فما تلقاه هنا شعرٌ مشروح ، ونثرٌ مملوح ، وتعليقٌ ممدوح ، سـيق للمؤانسـة ، وبُسـط للمجانسـة، وابتُغيـت بـه المنافسـة، ولعلـه أسـلوبٌ جديـدٌ للنشـر ، وتقريـبٌ الشـعر بـالنثر، وجعلـه مرضـيا

بـالورد والزهـر . تبسـطه المـواعظ، وتلينـه الملافـظ ، وتحببـه المعارض.

ولذلك هذا المجموعُ منتقياتٌ أدبية ، ومختـاراتٌ شـعرية ، علّقنـا عليهـا تعـاليق، وبسـطنا عليهـا أراحيـق ، ودبَّجناهـا بـلا مضـايق ، وصلنا بها خمسين ، ولعلها بيانٌ في تبيين، وسَلسالٌ من ماءٍ معين، وتِرياقٌ من التبرِ الثمين ، نرجو أن تكونَ شُجونًا، قد سُقيت مُزونـا ، وطابت عيونًا ، والسلام.

محايل عسير

٢٢/ ١١/ ١٤٤٢

١/ ومَن يُثني الأصاغرَ عن مرادِ ..!

❋❋❋❋❋❋

- إذا حـاقَ بهـم الكِبـرُ، وتقمّصـهـم التعـالي، فـلا احتَرمـوا ولا وقّروا، وحاولوا القفزَ على أساتذتهم، وإهمالَ أكابرهم... وفي الحديث ((البركةُ مع أكابركم)). ومـن يثـنهم حينئذ أو يوقـف مـد تطـاولهم ...! فعـلا .. وقـد جلـسَ الأكـابرُ في الزوايا...

- يؤلمك في زيـارة بقعـة مـا، وقـد رأيـت علماءهـا معـزولين، وصغارها متنفذين علمًا ودعوةً وتأثيراً..

- بلا ريب إنّ علمهـم بـلا بركـة، وفقههـم بـلا ثمـرة، وعطـاءهم محرومُ الأدب، ومعدوم المروءة...! وهل يفلح التلامذة بـلا

مـروءة.. أو يثمـرُ الطـلاب بـلا مكـارم أخـلاق... قـال عليـه الصـلاة والسـلام ((إنمـا بعثـتُ لأتمـمَ مكـارم الأخـلاق)).

وللشـيوخ حقـوقٌ وآداب نبـذلها لهـم، ولـو جفَـوا علينـا..!

وكيف هم لـم يجفـوا، بـل علّمـوا وتعبـوا، وأفـادوا وصـبروا ، فجزاهم الله خير الجزاء ..وفي حديث النخلة في الصـحيحين : اسـتحيا ابـن عمـر مـن الجـواب، لمـا رأى أبـا بكـرٍ وعمـر لا يتكلمان فسكت ..

- وهـذه الأبيـات للقاضـي عبـد الوهـاب المـالكي رحمـه الله يتحسـر علـى فسـاد الزمـان وتغيـر أهلـه ، وصـيروة الوضـعاء والصغار رؤوسا على أساتذتهم وكبارهم ، وانعدام الأصول والمروءات، والله المستعان .يقول رحمه الله:

مَتَى تَصِلُ العِطَاشُ إِلى ارْتِوَاءٍ إِذَا ** اسْـتَقَتِ البِحَـارُ مِـن الرَّكَايَـا

وَمَـنْ يُثْنِـي الأَصَـاغِرَ عَـنْ مُـرَادٍ ** وَقَدْ جَلَسَ الأَكَابِرُ فِي الزَّوَايَا

وإِنَّ تَرَفُّـــعَ الوُضَـــعَاءِ يَوْمًـــا ** عَلَى الرُّفَعَاءِ مِنْ إِحْدَى البَلَايَا

إِذَا اسْـتَوَتْ الأَسَـافِلُ والأَعَـالِي ** فَقَـدْ طَابَـتْ مُنَادَمَـةُ المَنَايَـا

- قـال الإمـامُ ابـن القـيم - رحمـه الله -: أدب المـرء: عنـوان سـعادته وفلاحِـه، وقلـة أدبـه: عنـوان شـقاوته وبـوارِه، فمـا استُجلب خيـر الـدنيا والآخـرة بمثـل الأدب، ولا اسـتُجلب حرمانهما بمثل قلة الأدب ".

- قال عامرٌ الشَّعبي رحمه الله : " أمسَك ابن عباسٍ بركاب زيد بن ثابتٍ، فقال: أتُمسِك لي وأنت ابن عم رسول الله صلى الله

عليه وسلم؟ قال: إنَّا هكذا نصنَع بالعلماء؛ فَقَالَ زَيْدٌ : أَرِنِي يَدَكَ ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ ، فَقبَّلَهَا زَيْدٌ وَقَالَ : هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ."‏. ويروى عنه قوله : زيدُ بن ثابت مِن الراسخين في العلم؛".

- فهل لنا بمثل هذا الأدب يا طلابَ العلم، ويا عشاق المعرفة، فنحن إلى أدب وأخلاق ، أحوج منا إلى علم وأسفار..! ولا تتحدثوا وشيوخكم في الزوايا، إلا بعذر معروف، أو ظرف مخصوص ، والسلام ..!

٢/ ما كل ما يتمنى المرء يدركه...!

******

- الأماني مشاعر نفسية داخلية تحرك الفرح، وتوقظ البسَمات ، ولكن لا قيمة لها بلا تحرك وعمل وترجٍ يأخذ بها لحدائق الإنتاج.
- وهذا بيت سيّار وضعه بعض الناس في غير سياقه حتى بات علامة على التثبيط ونشر ثقافة الركود والرقود..! وصاحبه قصد تمني الموت له من قبل أعدائه .
- والأمنية المتجاوزة للقدرات ضرب من الخيال والحلم الضائع، والسراب البائس.!

- وهـي بـلا مقـدمات فاعلـة، وبُنـى توقديـة، مضـيعة للوقـت والفكر، وتشابه إلى حد كبير أحلام اليقظة...

وحلمتُ بالمجد الكبير وهمتي ** في راحة ومغانمي في مأكلِ

- والأماني المعتدلة خطوة للانطلاق، وباعثة للفعل والاختيار، وإن طالـت بـلا تفعيـل فهـي لغـو مـن القـول لا حقيقـة لـه في الميدان الواقعي.

- تتمنى النجـاح ولـم تقـدم شـروطه أو تركـب ركائبـه، وتـدعي الانتصار ولا زلت في أول الطريق .

- الإنجاز والتفوق والغنى والظفر بالمطلوب، مقاصد محمودة لا تتحصل بلا انتهاج مقدماتها.

- كل مراد له سلم إيرادي يصنعه صاحبه ليصعده في كل مكـان، وفِي أي ظرف..

- والحكمة تتنزل على الأمـاني الصِـعاب، والمقاصـد الجسـام، ولم يقصد صاحبها حرمة التمني مطلقا، لكنه قصد: إن كلمة يا ليت لا تعمر بيـت،،، لا سـيما، ليـت الخلوية مـن دعَمـات الأسباب، أو ذوات الاستحالة، كتمني هلاكه فقد قال قبلها:

يا من نُعيت على بُعدٍ بمجلسه ** كلٌ بما زعم الناعون مرتهنُ

- ووضـعُ البيـت لنشـر ثقافـة الكسـل والاستسـلام، وتعميـق التراخـي الاجتمـاعي، مقصـد مـذموم لـه تبِعاتـه القاسـية..!

والمتنبي شعره مستفيض بعلو الهمة، وبما يناقض هذا البيت وقد عُرف بالتطلع وحب الإباء .

- فمثلا دعوى الإيمان بلا أعمال مضحكة وغير مجدية، ودعوى الغنى بلا أرباح موضع سخرية المجتمع ، ودعوى العلم والوعي بلا مؤهلات سماجة وتهريج فاضح...

- يتمنى بعضهم العلم والانطلاق العلمي، ولم يقم للكتب وزنا أو القراءة هما، وما أحسن ما قاله بعضهم :

والدعاوى ما لم يقيموا عليها ** بيناتٍ أصحابها أدعياءُ

- والأحلام العريضة في أول الطريق بلا استعداد، مما يوهن النفس، ويصنع التخبطات ..

- ومـن الأمـاني أمـانٍ شـيطانية كصـنائع الأعـادي والمنـافقين، وفعائـل الحسـاد والمُكـار، والتـي ترفضـها الشـريعة أو تنـازع القدر، كحرب الإسلام وتمني زواله ... ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ سورة الصف .

- وللكون قوانين ونواميس يجـري مـن خلالهـا، وإهمالهـا ممـا يسوء ويضيق الفهم ويعرقـل الطريـق وتتمـة البيـت الشـعري:

تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ..

- لتكن الأماني مأمونة مقدورة، وليست ممنوعة متعذرة ..

- تبتـدئ الهمـم بأمـانٍ عاليـات متوافقـة مـع نبضـات الهمـم، وخَرزات العزائم..

- فاذا انسجما أفلحت الـنفس وأثمـرت بـل ربمـا فاقـت الـنفس الجسد، وطارت الهمم الى العنان وهو دونها، وكما قيل:

وإذا كانت النفوس كباراً ** تعبت في مرادها الأجسامُ

وهو لصاحبنا المتنبي...

- تنشا الأمـاني مـع الطفولـة وتتعـاظم مـع الشـباب وتتراجـع مـع الشـيخوخة، فعـش حـلاوة الأمنيـات فتـرة الغِلمـة والشـباب، ولتكن مراعيا لما تقول، متزنا في المشاعر والتحركات.

- الأمـاني المنتكسـة والمنابـذة للسـنن لا مقـام لهـا في الواقـع التاريخي ، ولا يزداد بها صاحبها إلا غِلاً وصـدودا وصَـغارا.

- في الغالب ما تطلع وتمنّى شخص شيئا محددا، إلا أصابه إذا أخذ بأسباب الإصابة (فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ) سورة آل عمران.
- تقوى المنى بالجدية والواقعية والحريّة والدعم ومجالسة الطامحين والناجحين(فلينظر أحدكم من يخالل).
- والأماني المُرجاة خير من الأماني الفارغة والزائفة والمبالغ فيها، فتلك تحمد، وهذه تذم وتُستغرب.. (يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً) سورة الفرقان .
- عدم تحقق بعض الأماني الصغيرة في حياتك لا يحملك على الترك والقعود، بل تعلم من أخطائك وجدّد الوسائل وغير النشاط .

- لكي تدرك الأماني كن معتدلا، واشـحذ عصـا الجـد، وانطلـق ولا تلتفت للوراء، وتوكل على الحي الْقَيُّوم .. (وَمَا بِكُم مِّـن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ) سورة النحل.

٣/ ولكنّ أخلاقَ الرجال تضيقُ..!

******

- ضاقَت أخلاقُ فئامٍ وما كان لهم أن تضيق ، وقد فقهت الإسلامَ ، وقرأت القرآن...(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم . وقد علمت فضلَ مكارمِ الاخلاق ، ومحاسن الآداب.

- تبحثُ عن ذوي المروءة فلا تجدهم ، وتنشد عن أخلاقيات الحياة فتفتقدها ، وتسأل عن ذي فضلٍ ووصل ووفاء ، فلا تلقاهم... كأنهم قد رحلوا من أزمنة...

- فهي تضيقُ لجهلها بدينها، أو تضيق لقلة مروءتها، وإيثارها العاجل على الآجل ، وحرصها على مصالحها ..! وأنانيتها

الطاغية، التي لا تبالي في إخوة وصداقة..! ولا تفكر في حسن الثواب ، وعظم العاقبة .

- فاحرص دائما على سَعة الخلق، وطيب الموقف ، وحلاوة المروءة ، وأثر الإحسان ، وسجّل موقفًا جميلا ، يكرمك فيه الرب، ويثني عليك الناس.. (خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ) سورة الأعراف.

- من المؤسف أن البلادَ لا تضيق ، والديار وسيعة ، والصحاري ممتدة ، والبحار مستجلبة، ولكنك تأسف لخلق شح، أو فضيلة ذبلت، أ مروءة طارت ...! لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها... ولكنّ أخلاق الرجال تضيقُ..!

- وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم الداعية العظيم ، والمصلح الكبير، يساعد الناس ويقضي حوائجهم، ولم تمنعه رسالتُه من الخدمة والمعونة ، وتأتيه الجارية من نساء المدينة ، وتمضي به إلى حاجتها ..! ولم يَضِق خلقُه، ولا شحَّ وقته، ولا تأخرت مشاغله، عليه الصلاة والسلام ...

- وصحّ من أدعيته الجميلة :(اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ، وَأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَقِنِي سَيِّئَ الْأَعْمَالِ، وَسَيِّئَ الْأَخْلَاقِ، لَا يَقِي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ). والله الموفق .

٤/ لولا المشقةُ ساد الناس كلهم ..!

******

- حقا لو سهُلت المعالي لصعِد كل الناس، واستوى الجادُ والكسولُ ، والذكي والبليد ..!ولذلك يواجهون في طريقها المشاق ، ويلامسون شدائدها من تعب وجهد وفقر، فالعلم سهلٌ ممتنع، والغلاء مُرتقَى صعب، والظفرُ حلمٌ له سلالم، والسُّلم له درجات ، من لم يرقَ سقط ، ومن لم يصعد تلك المشاق ، لم يظفر بالماء الرقراق..

- ولذلك طاب قولُ المتنبي واستطاب : لولا المشقةُ ساد الناسُ كلهمُ...الجود يفقرُ والإقدامُ قتالُ..! فاستلذ المشاق ،

واستطعمِ المتاعب، ولا تبال بطول الطريق، أو شدة الرحلة ، أو قلة ذات اليد، واستعصم بالله، تهدَ إلى صراط مستقيم ..

- فـالعلمُ نيـلَ بـالفقر والمتاعـب، والمجـد بالتعـب والبـذل، والوجاهـة بـالجود والعـون، والقبـول بالصـدق والعطـاء ..! وبقد ما تتعنى تنالُ ما تتمنى..! واتعب في أول الطريق لتحصدَ في النهاية ، وتجنِ في الخاتمة ، فلكل مجتهد نصيب، قَـالَ ابـن عطاء السكندري رحمه اللهُ :" من لم تكن له بدايةٌ محرقة، لم تكن له نهاية مشرقة ".

- وللامـام أحمـد مقولـة المحبـرة والعلـمُ المشـهورة :(مـع المحبـرة إلـى المقبـرة). ومعناهـا الجـد والتعـب ، والسـهر

والنصبِ ، والجوع والافتقار ، والسفر والانشغال ، والغربة والحرمان ..

- وزاد عليها الشاعر حكمةً أخرى تجلّيها وتشرحها : لا يدركُ المجدَ إلا سيدٌ فطِنٌ...لما يشقُّ على السادات فعالُ... فما شقَّ على غيرك هو مقامك ، وما هرب منه أقوام هو موضعك ، فمحلك الحزم الملتهب ، والهمة المتوقدة ، والعطاءُ الذي لا يعرف النقصان ، ولا يملُّ من البذل والتعاطي والفاعلية (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ) سورة البقرة .

- والحياةُ كذا طبيعتها تحتاج إلى همةٍ وعطاء، وتسابق وارتقاء، لا تؤتى أمانيها في ارتياح، ولا تُنال منازلها في مراح،

بـل لابـد لهـا مـن مهـر مبـذول ، وجهـد محشـود ، ودأب مصبوب...

- فصبَّ فيها كل طاقتك، واسكب جميعَ عزمك، حتى تعلو وتعلّم وتنجح ، وأعلا نجاح وأغلا مقام جنات النعيم، ولا تبلغُ إلا بهمم وتعب..(فأعني على نفسك بكثرة السجود).

فاللهم همةً في طاعتك، وعزمًا في محابك ، والسلام..!

٥/ تقومُ مقام النصرِ إن فاته النصر ..!

******

- نعم قد يفوتُ النصر بسبب الكثرة ، أو شدةِ الخصم ، أو نخر المعصية ، أو خذلان الخلان...! ولكن ثباتك يسجله التاريخ ، وصبرك تحفظه الاجيال ، وبسالتك تدرسُ في المدارس ، وجهادك يُستنشد في الصوالين والمسامرات ..

- وكذا رثى أبو تمام محمد بن حميد الطوسي رحمه الله في مواجهة الروم: فَتىً ماتَ بَينَ الضَربِ وَالطَعنِ ميتَةً..تَقومُ مَقامَ النَصرِ إِذ فاتَهُ النَصرُ.. وَما ماتَ حَتّى ماتَ مَضرِبُ سَيفِهِ...مِنَ الضَربِ وَاِعتَلَّت عَلَيهِ القَنا السُمرُ.. وفي مطلعها :

كَذا فَليَجِلَّ الخَطبُ وَليَفدَحِ الأَمرُ ❋❋ فَلَيسَ لِعَينٍ لَم يَفِض ماؤُها عُذرُ

تُوُفِّيَتِ الآمالُ بَعدَ مُحَمَّدٍ ❋❋ وَأَصبَحَ في شُغلٍ عَنِ السَفَرِ السَفرُ

- وبعض الأعمال لم ينجزها اصحابها ، ولكن في مشوارهم دروس ، وفي عقباتهم عبر، وفي سبلهم مفاتيح ودلائل ، تحدث عنها الناس، وأقرَّ بها الخصوم ...

- وفي النصر مقاماتٌ ومنازل، قد لا تحصد فيها الثمار، ولكنها تمهد الطريق ، أو تضيء السبل لكل قادمٍ وناظر ومطالع ، ومنها الهمم العالية، والعزمات المشحوذة ، والتضحيات الجبارة..

- كمعلمٍ صنع تلميذه وتعب عليه ، وأب ربى وسهر وتألم ، ووالدة كان حنوّها مصدر إلهام للصبية، ومدير نقل دائرته إلى مصاف المؤسسات الضخمة المنتجة ، وورثه لآخرين..!
- ورأينا في الحياة من ربى أيتاما وصنع رجالًا ، حتى باتت البيوتُ تتفاخر بهم، وتذكر مجدهم ومكانتهم ، ولم يحرز هو النصر ولا المقامات العلى، ولكن أحرزها الأبناء والمكفولون .
- فثمة نجاحٌ وارتقاء ، ومقدمات وسلالم لذلك النجاح والارتقاء ، ولا يؤتى إلا بتعب وجهد، وذلك التعب والجهد قد يوازي ثمرة النجاح ، وجلالة التفوق .

٦/ ثمَّ انقضتْ تلك السنونُ وأهلُها ..!

❊❊❊❊❊❊

- فِي الحياةِ وصلٌ وهجر ، وحبٌّ وبغضٌ، واجتماعٌ وافتراق، وإقامة وارتحال ... ومِن ثَم لا تستحق الهمُّ والنزاع والتقاتل، وكما قال العامة : طنّش تعش تنتعش...

- وأما ركضُنا وراءها ، فليس يخلفه إلا التعبُ ووجعُ الرأس..! وتأمل الناس ومضيّهم ، والأممَ ورحيلها ، والعظماءَ واندثارهم ، فلا تتعلق كثيرًا ، ولا يطُل بك الأمل ، فكلنا إلى فناء وهباء...كما قال القائل:

أعوَامَ وَصْلٍ كانَ يُنْسِي طُولَها ❊❊ ذكْرُ النّوى فكأنّها أيَّامُ

ثُمّ انبَرَتْ أيّامُ هَجْرٍ أرْدَفَتْ ❊❊ بِجَوى ً أَسىً فكأنَّها أعْوَامُ

ثمَّ انقضتْ تلك السنونُ وأهلُها ❊❊ فكأنَّهــا وكــأنّهم أحــلامُ

- هكـذا هـي الحيـاةُ أيـام حـزن وغـم تطـول سـاعاتها ، وأزمنـة سعادة وانشراح يقل لحظاتها، ثم يعقبها التفرقُ والارتحال.. ومغادرة هذه الحياة الى الـدار الآخـرة ، إن خيـرًا فخيـر ، وإن شرًا فشر..

- نستذكر أيام الطفولـة ومـا فيهـا مـن حـلاوة وتقلبـات، وكيـف صرنا بعدها ، وكأننا نتذكر حلمًا ، أو خيالًا عابرًا..! وعايشـنا أحداثًا ضخاما، لـم يعد لها أدنى اثر هذه الأيام ، وبـات النـاس في مراحل جديدة، وعادات مختلفة...

- عـاش أنـاسٌ عقـودًا مـن الزمـان ، وعمـروا وإذا سـئلوا عنهـا، قالوا: لـم نلق شيئا ، وما ذقنا متعةً قط، ولا جربنـا سـعادةً ذات يوم... وهـم كـانوا في معـالي مـن الـدنيا، ومنـازل مـن المجـد والثروة...

- ولذلك مـن فقِـه الـدنيا لـم يسـتغرق عنـدها طـويلا ، ولا غرّتـه ملاذها، أو سرقته محاسنُها ، وعاش فيها على حيطةٍ وحـذر ، يستعملها في طاعة الله، ويجعل منها قنطرةً وجسـرًا إلـى الـدار الباقية .

٧/ إلَيْهِ هِمّتي، وَبِهِ اكتِسابي...!

******

- لابد أن يكونَ لك في الحياة هدفٌ وهمةٌ، ورسالة تحققها ، أو شأن تشتغل عليه ، ومن أعلا المطالب وأسمى المراتب : اكتسابُ الأخلاق ونشرُ مكارمها في الناس، وتسطيرها بقول حسن، أو فعل خلاب، تتناقله الأجيال..

- ولذلك اسمعْ ما يقول شاعر جاهلي فكيف بأهل الإسلام: وكلُّ مكارمِ الأخلاق صارت...إلَيْهِ هِمَّتي، وَبِهِ اكتِسابي..! يتفاخرُ بذلك ، ويسجلُ قيمةً رائعة في فهم الحياة..! نعم نحن أولى به منه، كانت لهم أخلاق حسنة وكدرتها أشياء ،

ولكننا في الإسـلام ديـنٌ وخلـق ، ومـنهجٌ وأدب ، بـل جـاءت شريعتنا لتتميم مكارم الأخلاق.

- فما أجملَ أن تكون همةُ بعضنا وخلاصةُ سعيِه خلقًا جميلًا ، أو أدبًا رطيبـًا، وأجـلُّ أدبٍ مـا كـان مـع الله ديانـة وإخلاصًـا وتذللا..

- والأدبُ مع الناس : أخلاقٌ حسنة، وتعاملاتٌ طيبة، ومعروفٌ مبذول، ونـدىً منسـابٌ..(إنَّ مِـن أحبِّكم إلـيَّ وأقـربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنكُم أخلاقًا).

- والأخلاقُ منها ما هو فطري، وما هو مكتسب يُتعلم ويستفاد، وفي الوحيين أخلاقٌ جميلة ، وآدابٌ نحض عليها على الـدوام ، وفي سـيرة رسـول الله عليـه الصـلاة والسـلام جِمـاعُ مدرسـة

الأخـلاق ، وذهبيـاتُ محاسـن الآداب ﴿وَإِنَّـكَ لَعَلَـى خُلُـقٍ عَظِيمٍ﴾ سورة القلم .

- وفي مجالس العلماء، وحلقات الأكابر والشيوخ أنغامٌ حِسان من الخلق الجميل، والأدب الجم، وبعضها لا يُحصَّلُ إلا بالحضور والجلوس بين أيديهم ، وقد قيل : " المجانسةُ بالمجالسة ". وللشافعي رحمه الله : إذا ما صحبتَ القومَ فاصحب خيارَهم...ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي.. عن المرءِ لا تسأل وسل عن قرينِه ... فكلُّ قرينٍ بالمقارنِ يقتدي..

- والأبوان المسلمان لديهما كومةٌ من الاخلاق الفاضـلة، فـالأم تربـي الرحمـة والمشـاعر ، والأب الحـزم والشـجاعة ونفـع والسلام...!

٨/ فلم تبق إلا صورةُ اللحم والدمِ..!

******

- لا قيمةَ للإنسانِ إلا بما متعه اللهُ به من منطقٍ جميل، وعقلٍ خصيب، ولذلك صدقت الحكمةُ السيارة ، والمقولةُ الذائعة:

لِسَانُ الفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ... يَبْقَ إلا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّمِ..! فيكبرُ المرءُ بالكلمة الطيبة، والعلمُ الفهيم ، والموقف الطيب، وبالمشورة الحية ، والرأي الحميد ..كما قيل : فإنما المرءُ بأصغريهِ... ليس برجليهِ ولا يديهِ..

- ولذلك إذا غابت هاتانِ النعمتانِ ، بقي المرءُ كتمثال صامت، وتصور لك اللحمُ والدم هيكلًا لا قيمةَ له، ولا طعمَ ولا رائحة ، فتكلم كي تُعرف، وتحدثْ حتى يستفاد منك،

شـريطةَ الـوعي والأهليـة..! وفيـه درس أن لا نغتـرَّ بالأشكال ولا الجسـوم الضـخمة، أو الملابـس الفـاخرة ، فاللسـانُ سيكشـفها عمـا قريـب...! ولـذلك قـال قبلهـا في الاغتـرار المبـدئي البصـري: وكـائنٍ تَـرَى مِـنْ صـامتٍ لَـكَ معجـبٍ.. زِيَادَتُهُ أَو نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّمِ..

- أو قد يجنحُ بها عقلُها، فتقول ما يهتكُ تلك المباهاة الشكلية، ويُذهبُ جمالَ ذلك الجسم المنتفخ .. ومن القصص الطريفة هنا : قصةُ الغريب الزاهي المنظر ، مع الإمام أبي حنيفة رحمه الله في حلقة العلم، حيث لما دخلَ قبض رجله المتعبة وكـان يمـدها أمـام طلابـه ويعرفـون فيعذرونـه .. فقـال سـائلا ؛

الرجـلُ: متـى يفطـر الصـائم ؟ فأجـاب الشـيخُ : إذا غربـت الشمس ..

- فعاد الرجل معقبا بغرابة : وإذا لم تغرب شمس ذلك اليـوم يـا أبـا حنيفـة ، فمتـى يُفطـر الصـائم .. فانكشـفَ الأمـر للشـيخ الجليل ، بأن ليس وراء اللباس الجميـل ، إلا كومـةُ جهـل..! فقال أبو حنيفة قولته المشهورة التي ذهبت مثلاً يُتندرُ بها مـن الألسنة المحرجة ، والتعليقات الغبية" آن لأبي حنيفة أن يمدَّ رجليـه" . فمـدوا علـومَكم يـا شـباب ، لتزكـوَ عقـولكم، والله الموفق .

٩/ فلم يَضِرها وأوهى قرنه الوعِلُ..!

******

- نعم ليس حسنًا ولا حكمةً مناطحةُ الكبار، أو مجاراةُ العظماء، كتطاولِ صغار الطلبة على شيوخ جهابذة ، أو مناكفة متعالمين لمشايخ راسخين..! ولذلك سينكشفونَ من الوهلة الأولى ، ويصدقُ فيهم قولُ القائل: كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهِنَها ... فلم يَضِرها وأوهى قرنَه الوَعِلُ..

- فكأنَّ هؤلاء يناطحونَ جبالًا ، أو يرمونَ جبلًا بحصاةٍ ، أو كوعل يلطم في صخرة صماء ثقيلة، وهو تيسُ الجبل ، من حمقه يجاري ما لا طاقة له به.. وكذلك بعض الحمقى يجارون الأكابر ، ويمارون الأفاضل ، ويسابقون الأماثل ،

وما قد بلغوا شأوهم ، أو ناهزوا قدرهم..! ولكنه الحمقُ والاندفاع ، أو العجلة وحب الظهور .

- ولذلك يقال لبعضهم : تعلّم ثم أحسن تتكلم، ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه، ومن تواضع لله رفعه، ومن وقر الرجال وقره الناس..

- ولذلك تأمُّلُ هذه الحكمة، يورثُ المتأملَ التواضع ، وخفضَ الجناح، وعدم الاستعجال ، ويقاسُ عليه وضع النفس في غير مواضعها كمن يتكلم في مجالس الشيوخ ، أو يعقد دروسًا فيما لا يحسن .. وكان يكفيه أن يقول : لا أدري ، كما قالها السلف قبلنا..

- وخـذ درسًـا وحليـةً لـك في الحيـاة ، لا تتعـرض للكبـار ولا العلماء، ولا من هو أكبر منك، وأنزلِ النـاسَ منـازلهـم، فإنـك حينهـا تعظـم في عيـون الحضـور ، وتسـمو عنـد المتـابعين ، وتُسطرُ معانٍ من الأخلاق الرفيعة والأدب الراقي ..

- وينتجُ عـن ذلـك التطـاولُ غيـر المكـافئ ، الجهـل والتعـدي، وعـدم الاحتـرام ، وانكشـاف الموقـف علـى حقيقتـه، وذمّ الحاضرين والقارئين فيما لو كان شيئًا مكتوبًا ، وتسجل عليم نقيصة في الحيلة العلمية والاجتماعية ، وسينشدون : ومَنْ دعا الناسَ إلى ذمهِ...ذمُّـوه بـالحق وبالباطـلِ.. والحمـدُ للهِ علـى نعمة العقل والخلق ..

١٠/ لا تسقني ماءَ الحياةِ بذلةِ...!

******

- لا تُستطابُ الحياةُ مع الذل والهوان ، ولو زانَ طعامُها وشرابُها ، لأنها ستكون أتعسَ حياة، وستُجرئ الآخرين على النَّيل والتطاول ..! وكذلك يجب أن يعيش الإنسانُ عزيزا ، وقد كرمه الله يأبى الذل، ويحيا كريمًا بتكريم الله له :(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) سورة الإسراء . ولذلك يعز المسلم عن مواقف الضَّعة والاحتقار ، ويأبى الضيم، ويرتشف الصعاب والحنظل وهو في قمة عزه وشموخه....بل فاسقني بالعز كأسَ الحنظلِ..!

- فما أطيبَ الحنظلَ وقد عزت أخلاقنا ، وشمخت نفوسُنا ، وبزّت مواقفنا، لا سيما وقد ورثتها العروبة لأهلها ، وجاء بها القرآنُ محتفلا ومؤكدًا..(وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ) سورة المنافقون .

- وكلما قرأ العبدُ القرآن واستظهر السنةَ والسيرة ، تعلّم معاني العزة والإباء، واعتاد الشممَ والشموخ ، وللمتنبي نظيره :

عش عزيزًا أو متْ وأنتَ كريمٌ ** بين طعن القنا وخفقِ البنودِ

فرؤوسُ الرماح أذهبُ للغيظِ ** وأشفى لغل صدرِ الحقودِ

لا كما قد حييتَ غير حميدٍ ** وإذا متّ متّ غير فقيدِ

- ولذلك من مظاهرِ العزة في ديننا: عبـادة الله وحـده والخضـوع لشـرعه دون البشـر ، والاسـتعلاء بدينـه واتباعـه ، والافتخـار بســننه ، والجهــاد والشــجاعة ، وردع الغــازي والمحتــل، والـدفاع عـن الـنفس والمـال والعـرض والـدعوة إلـى الحق ، والعدل بين الناس، ورفض المهانة والمداهنة والانهـزام (ولا تهنـوا ولا تَهنـوا وأنـتم الأعلـون إن كُنـتُم مـؤمنين) سـورة آل عمران.

- وانظـر إلـى مواقـف كثيـرة في السـيرة والتـاريخ ، تطبـق ذلـك المبدأ ، كما صنع ربعي بن عامر رضي الله عنه مع رستم قائـد الفرس .." قال ما جاء بكم؟ قـال: "لله ابتعثنـا، والله جـاء بنـا لنخرج من شاء مـن عبـادة العبـاد، إلـى عبـادة الله، ومـن ضـيق

الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ..."

. وستظل تنهل من عبق هذا الموقف، وتستظل بفيئه ولا

تشبع منه.. والسلام ....!

١١/ فقوتُ الروح أرواحُ المعاني ..!

******

- صدقَ – وأيمُ اللهِ – إن الأجيالَ لتحيا بالمعاني وليس بالأطعمة والأشربة، وليس بالقمح وحده يحيا الإنسان ، بل الحياةُ الحقيقية له ، والتي تحفظه وتصونه وتُديمُ عزه وفضله ، هي المعاني المحفوظة ، والفهوم المحسوبة ، والخيرات المجموعة، من العلم وكتبه، والشيوخ ودروسهم ، والفوائد وكنزها، فهي القوة الحقيقية ، والقوتُ السمين، كما قال رحمه اللهُ : فقوتُ الروحِ أرواح المعاني... وليس بأن طعمتَ ولا شربتا ...!

- فكم من أجسامٍ تكونت بالطعام وانتفخت، ولم تلق القوتَ الحقيقي، ولا بلغتْ المنزلة المروم، أو نالت السعادة المطلوبة ...

- فاشربْ من العلم، وارشفْ من كتبه ، واطعمْ من جمالياته ، وتزود من درره وجواهره، فما تيسرَ اليوم وأنت شاب قد لا يتيسر غدا، فبادر اللحظات ، وسابقِ الزمن ، فإنك بذلك تبتغي الثوابَ الجزيل ، وتغذّي العقل ، وتزكي الأرواح ، وتدفع عنك كلَّ ضلالةٍ وشائبةٍ وشائكة ، والله المستعان .

- وأضحتِ المعاني والعلومُ هذه الأيام تطرحُ على السكك، وتختزنُ الجوال، وتسيرُ في السيارة ، وفي بيوتات الأصدقاء

والفنـادق ، وأينمـا حللـتَ تلقاهـا مسـتندةً علـى جـدارٍ في انتظارك، وارتقاب همتك..!

- فمتى نصحو لمثل هذه النعم.. (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا) سورة النحل وإبراهيم . فاشحذ همتك، وافتل عزيمتك، ولا تقصِّر في جنبِ الله تعالى ، دعاءً ورجاءً وابتهالا... مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ) سورة فاطر .
- ولما أحسَّ الأعلام قبلنا بهـذه النعمة ، وعاشـوا هـذه الملـذةَ تفانوا في حب العلم واستجلابه ، حتى آثروه على كل شيء، واشتهر قول الخليل رحمه اللهُ :(أثقلُ ساعةٍ عليّ ، ساعةٌ آكلُ فيها) والله المستعان .

١٢/ مِنْ شدةِ اليأس لم يخلقْ بمفتاحِ..!

******

- مهما عظُمت عليكَ الكروبُ ، أو تفاقمتِ الشدائدُ ، تذكّرْ موانحَ الله وفرجَه وتيسيرَه، فهوَ القائل:(فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً) واستُنشد هذه السنوات الأخيرة : سيفتحُ اللهُ بابًا كنت تحسبُهُ.. من شدةِ اليأسِ لم يُخلقْ بمفتاحِ..!المعاصر، ولكنه ذائعٌ جدا، وطارت به المواقعُ والواتسات، ولامسَ وجدانَ الناس ، حيث بعث الأملَ في الظلمة، وأعلن اختراق المحنة، وفكَّ الشفرة والكربة ..!

- ومع أن هذا المعنى في الكتاب والسنة ، ولكننا ننسى كثيرًا ، واستُطيبَ ذلك البيت المغروز في الوجدان الإنساني. وغايته

توسيع دائرة الأمل ، وإشعال روح التفاؤل في الذات، وتوهين البلايا، ورسم السعادات في خضم الشقاوة والمتاعب ..

- قد تتكسرُ مفاتيحُ الدنيا وتعزُّ، ولكن يبقى مفتاحُ الإيمان والفأل الفسيح ، والمتمثل في ذكر صادق، ولهج دائم ، ودعوة مستجابة ، أو عمل صالح ..! ﴿وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ﴾ سورة يوسف . وتلكمُ هي المفاتيح الشرعية ، والتي جادت بها النصوص كادعية الكرب وزوال الهموم، وقضاء حوائج الناس، وإسداء المعروف، والله الموفق .

- ولذلك عشْ دائماً بالفألِ الحسن، ولا تكترثْ كثيرا لهموم الدنيا ومحازنها كما قيل: لا تلقَ دهركَ إلا غيرَ مكترثٍ..مادام يصحبُ فيه روحك البدنُ

..فمــــا يــــدومُ ســــرور مــــا سُــــررتَ بــــه...

ولا يَردُّ عليكَ الفائتَ الحزنُ..

- ومن أدعيةِ الكرب والحزن عنه صلى الله عليه وسلم :(اللهُ اللهُ ربي لا أشركُ به شيئًا). وغيرها ، والله الموفق .

١٣/ وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً..!

******

- فعلًا قد يعاني بعضُ الناس من غلواءِ قرابتِه وتعنُّفُها عليه دونٍ أدنى سبب، سوى الحسد والغيرة ، وسوء العشرة ، فيرى ذلك أبشعَ الظلم ، وأنكى المصائب ، حتى ليُعده أمضى من السيف في الجسمِ والله المستعان .. كما قيل : وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً... على المرء من وقعِ الحسامِ المُهندِ..

- ومعنى المضاضة أي حرقة، يَهيجُ في النفس كالنار، لا تكاد تنطفئ ، ولا يبردها ماءٌ ولا موقف..! ولذلك علينا تجنبُ الظلم لا سيما مع أقاربنا وجيراننا ، والضعفة ، وهو كله سيئٌ

ومذموم (يا عبادي إني حرمتُ الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما) .

- وقد تتمنى الضررَ من كل الجهات، ولا تبالي بشدة الرزايا الواقعة من هنا وهنالك ، شريطةَ أن لا تعيشَ موقفًا مع أهلك وقبيلتك، فتأسف من بلواهم ، وتحزن من نكراهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

- وهذا المعنى قد عاشه نبينا صلى اللهُ عليه وَسَلمَ من قومه ، فقد أخرجوه من أرضه، وأخذوا داره، وشردوه وآذوه، وهمُّوا بقتله، ثم واجهوه في معارك عسكرية، حتى انتصر عليهم بعد مدة ...!

- وفعلَ معه عمه أبو لهب أسوأَ المواقف في مكة ، وعانى منهم متاعبَ ومَضاضة، حتى إنه ليحرضُ عليه، ويسفه قوله ودعوته ، ويفعل معه الأفاعيل... وقابل عليه الصلاة والسلام كل ذلك بالصبر والهدوء ، ولم يفحش معه القول..

- وهذا درسٌ لنا في التحمل والتصبر ، وعدم مجاراة السفهاء ولو تطاولوا ، (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللهِ) سورة النحل . وذرهم في غيهم، فلن يصحَّ إلا الصحيح ، ولن يدوم إلا الطيبُ المليح ، فهلك أبو لهب ، وتوسع الإسلام ، وذاعت الدعوة في كل أرجاء مكة وخارجها، حتى مكّنَ الله لرسوله ، وأينعت ثمار الدعوة في كل مكان ..!

١٤/ بَذلْنا لهُ الأمْوالَ مِن جُلِّ مَالِنا..

******

- هـذه هـي التضـحيةُ الحقيقيـة ، والجـودُ الأعظـم ، والحـب الأكرم ، لمـن وعـى شـيئًا ، أو قـدّرَ صـاحبه ، أو زعـم المحبة والتعاضد .. وهو خلاصة ما فعلـه الأنصـارُ رضـي الله عـنهم مع رسول الله المختار ، لخصـه حسـان رضـي الله عنه في هـذا المعنى ...: بَذلْنا لـهُ الأمْـوالَ مِـن جُـلِّ مَالِنـا ... وأنفُسَـنا عِنـدَ الوَغَى والتّآسِيا..

- وهبوا له المالَ والنفس والجاه ، ولـم يتقاعسـوا في موقـف، أو يفـروا في موقعـة، بـل سـطّروا صـحفًا مـن ذَهَـبٍ في الشـجاعة

والحـزم والاستبسـال ، وباتـت العـرب تتغنـى بمفـاخرهم ومصابرتهم مع رسول اللهُ عليه الصلاة والسلام ..

- فما من خطر أو وَغى تُرى نيارُها إلا والأبطالُ حاضـرون مـالًا ونفوسـًا، ومشـورةً وعقـلا، وحبًا وحزمـًا، فمـات منهم مـن مات، وقدموا الشهداء في الإسـلام ، والجراحـات المعروفـة ، ومستهم القروح، وما لانوا ولا تزحزحوا...كما قـال تعـالى : (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) سورة الأحزاب.

- وقد كان صـلّى اللهُ عليـه وسـلم وصـلَ المدنيـة هـو وأصـحابه وهـم في قلـةٍ مـن المـال والمكـان والمنَعـة، فـآووه وأحسـنوا وفادتهم، وتنافسوا في الإكرام والمروءة ، كما مـدحهم القـرآنُ بذلك :(وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَـنْ

هَـاجَرَ إِلَـيْهِمْ وَلَا يَجِـدُونَ فِـي صُـدُورِهِمْ حَاجَـةً مِّمَّـا أُوتُـوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) سورة الحشر : ٩ .

- فلم تمنعهم الحاجةُ والفقر من عون إخوانهم ، واستقبالِهم ومشاركتِهم في العيش ، بل وإيثارُهم في كثير من الأمور ، وهو ما لم تفعله قبيلةٌ من العرب، فاز بهذا الشرف أنصارُ الله ورسوله، ولكنه كان مدفوعَ الثمن مقدمًا... ثمنُ المجدِ دمٌ جدنا به...فاسألوا كيف دفعنا الثمنا... حتى قال فيهم صلّى اللهُ عليه وسلم :(اللهمَّ اغْفِرْ لِلأنصارِ، ولأبناءِ الأنصارِ، ولِأبناءِ أبناءِ الأنصارِ).والسلام ...!

١٥/ فاغتربْ تلقَ عن الأهلِ بدلْ..!

❊❊❊❊❊❊

- المرءُ مفطورٌ على حب بلده ومحل إقامته، ولكنه قد يحتاج للمغادرة والسفر من جراء ظروف بها أو مشاكل في الرزق والارتياح فحينئذ ، فإن أرض الله واسعة للرزق والسعي في الأرض ، ودفع الهم والكرب... كما قال ابن الوردي : حبُّكَ الأوطانَ عجزٌ ظاهرٌ... فاغتربْ تلقَ عن الأهل بدلْ.. أي لا تحُول الأوطان عن فرص سانحة، وخيرات سابغة يسرها الله تعالى ، وسيبدلك الله خيرًا من أهل أو رزق أو مكانة .

- ويشبهه قولُ الشافعي رحمه الله: سافرْ تجد عوضًا عمَّن تفارقهُ... وَانْصَبْ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ. إني رأيتُ

وقـوفَ المـاء يُفسـدهُ... إِنْ سَـاحَ طَـابَ وَإِنْ لَـمْ يَجْـرِ لَـمْ يَطِبِ...! وبعضُ الأرواح قد لا تثمر ، ويظهر خيرها، وتبـزغ تجارتهـا إلا مـع الرحلـةِ والسـفر ، والغربـة والانتقـال، واللهُ المستعان .

- وهـا هـو رسـولنا عليـه الصـلاة والسـلام ضـيَّقت عليـه مكـة ، فجعل اللهُ مجدَه وظهـورَه في المدينـة المنورة ، فاسـتنارت بـه وعزّت، وأعزته إلى أن قُبض فيها، ولله الحمد والمنة .
- فلا تحزن من سفرٍ جاء برزقه، أو غربة حلت بأمانها ، أو بـونٍ فُتح لك فيه، فالله قد قدّر الأرزاق وكتـب الآجـال، وسـيقيض المـولى لـك أفضـالا لـم تجـدها مـن قبـل، وتكتسـب معـارف

وثقافات ، وتصنعُ أصـدقاء وخلانـا ، وتتسـع عقـلاً ومـدارك،

وهو ما عدده الشافعي رحمه اللهُ:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلى ** وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ

تَفَــرُّجُ هَــمٍّ، وَاكْتِســابُ مَعِيشَــةٍ ** وَعِلْـمٌ، وَآدَابٌ، وَصُـحْبَةُ مَاجِـدِ

وَإِن قيـلَ فِي الأَسـفارِ ذُلٌّ وَمِحنَـةٌ ** وَقَطعُ الفَيافِي وَاِكتِسابُ الشَدائِدِ

فَمَـوتُ الفَتـى خَيـرٌ لَـهُ مِـن حَياتِـهِ ** بِـدارِ هَـوانٍ بَـينَ واشٍ وَحاسِـدِ

والله الموفق ..،،

١٦/ فقلتُ يا أملي في كلِّ نائبةِ..!

******

- نعـم لـيس لنـا أمـلٌ في هـذه الحيـاة الا اللهُ تعـالى، فهـو ملاذُنـا ومعاذُنا ، وموضعُ ثقتنا ورجائنا.. (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِـنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـأَرُونَ) سـورة النحـل . وكمـا قـال القائل هنا : وقلتُ يا أملي فى كل نائبـةٍ... ومـن عليـه لكشـف الضر أعتمدُ...! فربنا هو المعتمد والأساسُ لجلبِ النفـع أو دفع الضر، وهذا لبّ دعوةِ الإسلام ، تعليـقِ القلـوبِ بالواحـد الأحد ، ..

- وحتى أهل الشرك كانوا يقرون بذلك عند الشدائد ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لحصين والد عمران رضـي الله عنهمـا :

" يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا ؟ " قَالَ أَبِي : سَبْعَةً ؛ سِتَّةً فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ. قَالَ : " فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ ؟ ". قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ. قَالَ : " يَا حُصَيْنُ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ ". قَالَ : فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِيَ الْكَلِمَتَيْنِ اللَّتَيْنِ وَعَدْتَنِي، فَقَالَ : " قُلِ : اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي ".

- ويقول فيها أيضًا أبو إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي رحمه الله :

لبستُ ثوب الرجا والناس قد رقدوا ** وقمتُ أشكو إلى مولايَ ما أجدُ

وقلت يا أملي فى كل نائبةٍ ** ومَن عليه لكشف الضر أعتمدُ

أشـكو أليـك أمـورًا أنـتَ تعلمهـا ** مالي على حملها صبرٌ ولا جلـدُ

وقـد مـددتُ يـدي بالـذل مبـتهلاً ** إليك يـا خيرَ مـن مُدّت اليه يـدُ

فـــلا تردنَّهـــا يـــاربِّ خائبـــةً ** فبحرُ جودك يَروي كـلَّ من يـردُ

- وهذه الأبياتُ الروحانية ، تغني عـن آلافٍ مـن الشـعر ، الـذي فسـد طعمـه ومعنـاه، ولـم يـؤدِ رسـالته ، أو يحفـظ منطقـه وأمانته..! وليت من تخصصَ في شعر السفه أو المجون يجودُ بمثل هذه الدرر التي تقرب من الله، وتبقي أثرًا يُحمـدُ لـه عنـد الناس ، لا سيما وهي تلامسُ حاجتهم، وتحـرك مـا فـيهم مـن هموم أو طلب منافع، واندفاع مضار .

• ولو ضُمّت هذه الأبيات إلى" أدب الأطفال " الذي يُرصدُ لهم زمنَ الطفولة ، حفظا وانتفاعـًا، لطابت ألسنتُهم ، وسما توحيدُهم، وزانت حكمتُهم ، واللهُ الموفق.

١٧/ سأعيشُ رغم الداءِ والأعداءِ..!

******

- معنًى يشعُّ بالتحدي والتصبر على كروبِ الحياة، وما تدبره الأعادي ، أو يقضُّ به الدهر ، وكان الوالد رحمه الله يتمثل به كثيرا لجماله ، ويكمله .. كالنسرِ فوق القمة الشمّاء...

- فأنت مؤمنٌ صبور ، وقد جمّلكَ الله بالقرآن، وفيه قضايا الرزق والأجل ، ومنحك حقَّ الحياةِ والحركة والسفر وطلب الرزق ، فلِمَ الخوف بعد ذلك ، .. وهذه عقيدة راسخة في الوجدان الإسلامي...(واعلم أنَّ الأُمَّةَ لو اجتمعت على أن ينفعوكَ بشيءٍ ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لك ، ولو

اجتمعوا على أن يضروكَ بشيءٍ ، لم يضروكَ بشيءٍ إلا قد كتبه اللهُ عليكَ ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجَفَّتِ الصُّحُفُ).

- ويعيشُ عزيزًا.. ليسَ عيشة المذلة ، بل كنسرٍ محلِّق فوق قمم وأبراج ، وطائر يرفُّ في كل مكان، في سموٍ وانشراح..ويقول بعدها :

سَأعيشُ رَغْمَ الدَّاءِ والأعداءِ ** كالنَّسْر فوقَ القِمَّةِ الشَّمَّاءِ
أرْنُو إلى الشَّمْسِ المُضِيئةِ هازِئًا ** بالسُّحْبِ والأمطارِ والأنواءِ
لا أرْمقُ الظِّلَّ الكئيبَ ولا أرَى ** مَا في قَرارِ الهُوَّةِ السَّوداءِ
وأَسيرُ في دُنيا المَشَاعرِ حالِمًا ** غَرِداً وتلك سَعادةُ الشعَراءِ

- وكما هي سعادةُ الشعراء، هي سعادةٌ خاصة للأصفياء، المعلقينَ رزقَهم وحياتَهم بخالقهم وربهم تعالى ، قد آمنوا به، وتوكلوا عليه ، وأنابوا إليه في حوائجهم ومسائلهم .
- فالداءُ يقاوم بالصبر والدواء ، والأعداء يُدفعون بالثبات والدعاء وبالشجاعة والحكمة، وقد استعاذ صلّى اللهُ عليه وسلم من قهر الرجال، وكان إذا خافَ قوما قال:(اللهمَّ إنَّا نجعلُكَ في نحورهم ، ونعوذُ بكَ من شرورهم). واللهُ الموفق.

١٨/ فَأَنتَ وَمَن تجاريهِ سَوَاءُ..!

******

- من طيْبِ أخلاقِ الإسلام، أن حملنا على الحلم وقولِ الطيب من الكلام ، والتباعد عن مجالس السفاء ومجاراتهم، كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ سورة القصص.
وفي جماليات الشعر العربي وحكمه السائرة : إِذا جارَيتَ في خُلُقٍ دَنيئًا... فَأَنتَ وَمَن تُجاريهِ سَواءُ ..! لأنكَ تحطُّ من قدرك، وتشوه سمعتَك، ولن تنقضي المحاورة ، لأنّ الطرف الآخر يطرب للسفه والتيه اللفظي والاجتماعي ..،!

- فتحرَّر أنت سريعًا ، وغلِّب الحكمة والأدب ، والإعراض الجميل، واختم بروائع الملافظ وانصرف..(وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامـًا) سورة الفرقان .

- واحرصْ على مجادلة من تستفيدُ منهم علمًا وخلقا وفقهًا ، وليس من سقطت أخلاقهم، واشتهرت مساوئهم ، والناس معادن كما يقال... وبعدها ذكر أبو تمام النتيجة : فأنت ومن تجاريهِ سواءُ...بحيث تتورط في جنسه وخلقه .. رَأَيتُ الحُرَّ يَجتَنِبُ المَخازي... وَيَحميهِ عَنِ الغَدرِ الوَفاءُ..

- وكان من هدي صلّى اللهُ عليه وسلم ، أنه لا تزيده شدةُ الجاهلِ عليه إلا حلمًا ، ويتقي شرار الناس، ومن غلب فحشهم على سمتهم ، لأن المؤمن راق، والداعيةَ أرقى

وأجلُّ من أن ينتهي وضعه عند سقط المتاع، وأراذل الناس وسوقتهم، والله المستعان .

- ودينُنا يأمرُنا بالصبر والحلم واحتواء الناس، وكظمِ الغيظ، والمداراة ، وأن لا نذهب خبطَ عشواء ، ويأمرنا كذلك بالحياء واجتناب الجفاء ، والحياء لا يأتي إلا بخير... وختم الشاعر بقوله : يعيشُ المرء ما استحيا بخيرٍ... ويبقى العود ما بقي اللحاءُ...! والسلام .

١٩/ كأنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جلالَتِهِ..!

******

• لرسول الله عليه الصلاة والسلام شخصيةٌ فذةٌ ، تجلّلت بالهيبة والجمالِ والبهاء ، وتسابق الشعراءُ في مدحها وتدبيج صفاتها، ولم يستطعْ أحدٌ مقاربةَ ذلك، ولكنها تعابيرٌ عن الحب والتوقير ، إذ لا توفيه جلُّ القصائد حقَّه.... ومن ذلك قولُ البوصيري في البردة : كأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جلالَتِهِ... في عَسْكَرٍ حينَ تَلْقَاهُ وفي حَشَمٍ.. من جمال الهيبة، وقوة الشخصية المتفردة، يظن الرائي أنه في قوة وحشد ، أو في جيش وعسكر، وما هو الا رجلٌ واحد بلا حرس ولا حجاب..! كما قال في حديث الرجل الوجل منه (هَوِّن

عليك ، فإني لستُ بملِكٍ ، إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قريش كانت تأكل القَديدَ). والقديدُ : اللحم المجفف .

- وهيبتُه كانت مشهورةً بين صحابته رضي الله عنهم ، قال عمر رضي الله عنه للنسوة :" أي عدواتِ أنفسهن، أتهبنني ولا تهبنَ رسول الله ". وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه:" وما كُنْتُ أُطِيقُ أنْ أمْلأَ عَيْنَيَّ منه إجْلالًا له، ولو سُئِلْتُ أنْ أصِفَهُ ما أطَقْتُ؛ لأنّي لَمْ أكُنْ أمْلأُ عَيْنَيَّ منه ". وقد جسّد ذلك كعب بن زهير في لاميته: لقد أقومُ مقاما لو يقوم به.. أرى وأسمعَ ما لو يسمع الفيلُ .. لظل ترعدُ من خوف بوادرُه .. إنْ لم يكنْ من رسولِ الله تنويلُ..!

- وأساسُ هذه الهيبةِ الإيمان وتقوى لله صادقة ، وخشية في الروح نابتة ، وتعظيم للشرع لا حد له، ولسان ذاكر لاهج...(وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ) سورة الطلاق .

- وهي تنتقلُ إلى أصحابه وأتباعه ، ووُصفَ بها بعض العلماء، وهم فقراء وُمنعزلون، ولكن في قلوبهم خشية ملتهبة ، وإيمان باسل متوثب .

- وفي الساحةِ نرى علماء من ميراث النبوة ، وقد كساهم العلمُ هيبةً ووقارًا من جراء خشيتهم ، ولا يحفُّهم لا طلابٌ ولا صِحاب ..! ولكنها أنوارُ العلم ، وسرجُ الذكر ، النابعة من

إخلاص وخشية .. (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ) سورة فاطر . وكلُّهم من رسول الله ملتمسٌ... غرفًا من البحر أو رشفًا من الديَمِ...! والله الموفق .

٢٠/ وهذه الدارُ لا تبقي على أحدٍ..!

******

• تحتويهم ابتداءً وتحتضنُهم ثم تركلهم ولاتبالي، كذا هي الدنيا بفتنتها الكبرى ، خداعةٌ غرارة ، كم غرَّت من عظماء، وكم تاه فيها فضلاء ووجهاء ، رُفعوا قليلًا ، ثم انتهت بهم إلى الشقاء ، أو قصدهم الأجل... كما قال أبو البقاء الرندي في رثاء الأندلس :

وهذه الدارُ لا تبقي على أحدٍ ** ولا يدومُ على حال لها شانُ

• كم سادَ فيها من أفذاذ ، وكم حكم فيها من ملوكٍ، وظهرت امبراطورياتٌ ضخمة ، تبلّغوا بها مدةً، ثم انتهوا كما ينتهي

الآخرون، والله المستعان ..﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾

سورة الإسراء .

- ولا يدومُ على حالٍ لها شانُ... إن أغنت أفقرت، وإن أسعدت أبكت، والمرءُ فيها ما بينَ سعة وضيق ، أو سرور وحزنٍ، أو غلبة وهزيمة.. تتقلبُ أحداثُها ، وتتبدلُ أحوالها.. غالبها كدر ومتاعب ، ولو تخللتها أفراحٌ ومسرات ، كما قال التهامي :

طُبعت على كدرٍ وأنت تريدها ** صفوًا من الأقذاء والأكدارِ

- ولهذا عظُم التحذيرُ النبوي منَ الدنيا ، واشتهر إلى درجة التزهيد الشديدِ .. وما ذلك إلا بسببِ الفتنة والاغترار،

والركون إليها ، فتهلُكنا كما أهلكت من قبلنا ..(فاتقوا الدنيا واتقوا النساء).

- ويشرح الرندي ذلك ويجليه بقوله :

أينَ المُلوكُ ذوو التيجانِ من يَمنٍ ** وأيـنَ مِـنْهُمْ أكَالِيـلٌ وتِيجـانُ
وأيـنَ مـا شَـادَهُ شَـدَّادُ في إرمٍ ** وأين ما سَاسَه في الفرس ساسانُ
وأينَ ما حـازَهُ قَارُونُ من ذَهَـبٍ ** وأيـن عـادٌ وشـدادٌ وقحطـانُ
أتـى علـى الكـلِّ أمـرٌ لا مَـرَدَّ لـه ** حتى قضَوا فكأنَ القومَ ما كـانوا

- نعـم وكـأن القـومَ مـا كـانوا ، ولا أسسـوا مجـدًا ، أو شـيدوا حضارةً، وعاشوا ثمانين أو تسعين....، والله المستعان .

٢١/ هي مركزُ الدنيا ومصدر ضوئها...!

******

- نعَم هذا المفخرُ الكبير ، والشرف العتيدُ، إذا تفاخرَ الناسُ ببلدانهم ، فلدينا أفخر بلاد، وأعظمُ رشاد ، وأصدقُ منهاج ، ونحمد الله أن بلادنا المملكة هي مركز الدنيا بمكة، ومصدرُ ضوئها بوحيها ودينها... كما قال العشماوي : هي مركزُ الدنيا ومصدرُ ضوئها... وهي العمودُ لجسرها الممدودِ...! ولا زالت بحمد الله متمسكةً بنهجها وتُلهم الناس من دينها وآدابها وقيمها..

- فمن هنا بزغَ النور، وشعت الرحمات، وسادت البركات ، ميلاد رسول الله، ومهبط الوحي، وإشعاعةُ الخير، ومأرز

الإيمان والعلم... وعلى هذه المقاصد قامت بلادنا حفظها الله، ولا تـزالُ ريانـةً بـالعلم والنـور ، دفاقـةً بـالخيرات علـى مشارق الأرض ومغاربها .

- والمكانةُ التي أكرمها اللهُ بها، لم تنلها بلاد، ولم تحرزها أمة ، والواجبُ المحافظة عليها، والمزيدُ من التمسك الشرعي والقيمي والوطني ، والحرص على الدين والوحدة، والإخلاص والانتماء في ظل قيادتنا الحكيمة ... ثم يقول أيضًا مشيرًا الى هذه المكانة : رُفعتْ مكانتُها بمهبطِ وحيها...وبما حَوَتْ من طارفٍ وتليدِ.. حملت منارَ العلم لم تبخل بهِ... بل قدمتهُ لسيدٍ ومَسودِ.. وترعرعت فيها عناقيدُ الهدى.... ما أروعَ الإثمار في العنقودِ...!

- ثم يحللُ مسيرةَ الوحدة والتوحيد والـدور الـذي بذلـه الملـكُ عبـد العزيـز رحمـه اللهُ ورجالاتـه الأفـذاذ ، هـا نحـن نقـرأ في سجل حياتها... ما سطرته عزيمةُ بن سعودِ.. لما امتطى ظهرَ الجـواد وكفـهُ... مرفوعـةٌ للخـالق المعبـودِ.. وجـدَ الطريـق أمامهُ مفتوحةً... ومشت إليه كتائـبُ التأييـدِ.. ومضـى يلـوثُ عمامـةً عربيـةً...رُبطـت علـى حـزمٍ ورأيٍ سـديدِ.. مـن أيـن أقبل؟ من قواعد همة... عُظمى ومن إصراره المعهودِ.. مـاذا يريدُ؟ لدى الرياض حكايةٌ... تُروى معطرةً بأطيبِ عودِ....

- ولا تزالُ الحكايةُ معطرةً الى هذا الزمان ، قيادةٌ وقوة، ومنهج وحزم ، وحب واجتمـاع ، وحـرص ووئـام ، في ظـلال الـوحي والـدين المتيـن ، والخلـق النبيـل ، والتقـدم البـاهر ، حفـظ اللهُ بلادنا وقيادتنا ، وأدام علينا الأمن والأمان.

٢٢/ وَإِذا اِفتَقَرتَ إِلى الذَخائِرِ لَم تَجِد..!

******

- أعظمُ ذخائرِ الدنيا، وأنفسُ ملاذها وكنوزها، وأجلُّ ما سابق فيه المتسابقون ، وشمّرَ له المشمرون ، الأعمال الصالحة، والقربات النافعة ، كما قال القائل: وَإِذا اِفتَقَرتَ إِلى الذَخائِرِ لَم تَجِد... ذُخراً يَكونُ كَصالِحِ الأَعمالِ..! تسعدك في الدنيا ، وتعليك في الآخرة ، وتنجيك من أهوال القيامة وأنكادها.. (إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) سورة العصر .

- والمؤمنُ العاقل في هذه الدنيا فقير إلى الأعمال الصالحات ، لأنه يدرك أنه فيها لرسالةٍ محددة، وهدف سامٍ، وهو عبودية الله تعالى، ولن يخلد في متاعه ولا متعته، وسيأتي يوم القيامة

فـردًا .. ولـذلك دائمـا يخشـى الـدنيا ، ويتقـي مفاتنهـا ، ولا ينهمك فيها كثيرًا ، ولذلك قال قبلها : وَالنـاسُ هَمُّهُـمُ الحَيـاةُ

وَما أَرى... طولَ الحَياةِ يَزيدُ غَيرَ خَبالِ..

- فكم من خَبالٍ غرِقنا فيه، وكم من ضلال قاتلنا عليه، وكم من وبـالٍ تنافسـنا فيـه.. وقليـلٌ مـن تفكـر أو تـذكر أو اعتبـر (فـلا تغرنكم الحياةُ الدنيا، ولا يغرنكم بالله الغرور) سورة لقمان .

- فجدَّ واجتهد، وشمر واتزر ، واعلم أنك راحلٌ عما قريب... فقدم لنفسك ما ينفعهـا ويحميهـا يومئـذ .. قـال تعـالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ سـورة النحل

. وقال صلى الله عليه وسلم: (إنك لن تعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة). واللهُ الموفق.

٢٣/ سبَته المُنى واستعبدته المطامعُ..

******

- كـلُّ منهمـكٍ في الـدنيا يفـوّتُ فضـائل ، ويضـيعُ حقوقـا ، ... ولربمـا مـع طـولَ الوقـت ، يبيـت عبـداً ذلـيلا تحـت مطامعهـا وشهواتها ، فالـدنيا وان رفعـت قلـيلًا ، هـي تـذل في الحقيقـة ، كما قال الشاعر : ومَن كانت الدنيا مناهُ وهمَّه...سبَتْه المنى واستَعبدته المطامعُ... ومن صحاح السنة الروائع : (اللهم لا تجعل الدنيا أكبرَ همنا، ولا مبلغَ علمنا).

- فبـدلًا أن يصـير عبـداً لله ، يصـيرُ عبـداً لشـهوة قاتمـة ، يجـري وراءها ويطلبها، وقد رأينا من تذله الشهوةُ ، وتتملكه الغواني،

أو تلتهمه المخدرات، ولا يستطيع إبداء أيةَ معارضة..! بل حالته وموقفه في جانب الوفاق والتسليم..

- وإنما صار عبداً لها لأنه خضعَ لشهواتها ، وذابَ كما يذوبُ الملح تحت مطالبها، فقائده الهوى، وطالبه المَيل ، ومقصوده التلذذ، وإشباعُ الرغبات ، ويزيّنُ له شيطانُه كل ذلك، حتى يصير مسبيًا لها، ولا يستطيع الانفكاك عنها، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

- ومن باتَ كذلك ، لم يحفظ دينًا ، ولم يصُن خلقًا ، ولم يضبط سلوكًا ، وصار مفتونًا بكل المغريات والنزغات ، وتابعًا لكل الدواعي والهِمّات..

- ويصـيرُ لا يشـبعُ مـن رغائبهـا ، ولا يتمنـعُ مـن نتائجهـا ، قـد استحوذت عليـه ، .. إنْ كـان ذا مـال فيطمـع في المزيـد ، وصاحب الشهوات يتنقل في رحابها، وطالب المتعة لـم يـزل فيها راغبًا وطامعا، والله المستعان ، قال صلّى اللهُ عليه وسلم :(لَوْ كانَ لاِبْنِ آدَمَ وادِيانِ مِن مالٍ لابْتَغَى وادِيًا ثالِثًا، ولا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللهُ علَى مَن تابَ).

- ويتحولُ بعضُـهم مـن طالـبٍ للـدنيا إلـى عبـدٍ مسـتذلٍ، تحت شـهوتها ورفاهيتهـا ، وإن تـأخرت بـذل لهـا مـن الذلـة، ليغـنم شيئًا من المتعة ، .. فليـت شـعري كيـف سيتحولُ منهـا وهـو سامد تحتها... والله المستعان .

٢٤/ كلُ شيءٍ مصيره للزوالِ..!

******

- حينما يفيضُ شاعرٌ جاهلي هذا المعنى، ويعلنُ توحيدًا قديما، في ظل قلة العلم والرسالات ، فإنك تنشرحُ بمثل ذلك الموروث ، وتتمنى من آخرين معاصرين، أن يقلدوا شعرهم شيئا من المعاني الصادقة، بدلًا من تيههم الكلامي، وضياعهم الفكري.... كُلُّ شَيءٍ مَصيرُهُ لِلزَوالِ... غَيرَ رَبّي وَصالِحِ الأَعمالِ..

- اعترافٌ حقيقيٌ بنهاية العالم تمامًا ، ولا يبقى إلا الواحدُ الأحد ، ثم عملٌ صالح ينفعك يومَ الكربات . وذلك توحيدٌ

جميـل، وحقيقـة قائمـة ، ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ سورة الرحمن .

- فكلُّ ما جمعته من أموال ، وما حزته من ثروات ، أو بلغته من مراتب ، ستنقشع عن بكرة أبيها ، وتأتي إلى اللهِ فردًا ، ومعك عملك المحضر ...﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ﴾ سورة آل عمران.

- وما تفاخرنا به من حسبٍ ونسـب، سيتلاشى تمامًا .. وتغـدو مسؤولًا عن نفسك، تجادل عنها، ولا تكترث ، لا لعائلة ، ولا لقبيلـة... ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ سـورة المؤمنون. ويجتمع الخلائق كلها في مشهد مـروعٍ رهيـب ، لا

يستطيع أحدُنا الهروب منه... ولذلك قال بعدها: وَتَرى النَاسَ يَنظُرونَ جَميعاً... لَيسَ فيهِم لِذاكَ بَعضُ اِحتِيالِ..!

- والعاقلُ يوقن أنّ حيلته في عملٍ صالح، أو طاعةٍ مبرورة ، أو معروفٍ مسدًى ، بلا رياء ولا سمعة..! والسلام .

٢٥/ وقدرُ كل امرئ ما كان يُحسنه..!

******

- هذه أجلُّ حكمةٍ ، وأطيبُ كلمة ، بعد الكتاب والسنة، لأنها تعبيرية بشكل واضح عن مدلولها ، وتبين لك قدر الفرد البشري ، ومدى تمكنه وإتقانه وقدرُ كلُّ امريء ما كان يحسنهُ...وللرجال على الأفعال سيماء..
- فقيمتُك تكمنُ وتكملُ في عملك المتقن ، أو مهنتك الجيدة ، ودورك البارز ، أو ذاتُك الفاعلة .. والناس تُحبكَ وتوقرك من خلال ذلك، فمكانتُك في الإحسان ، وإنتاجُك في الإتقان ، وخيراتُك في مخرجاتك المثمرة .. وللرجال على الأفعال سيماء..

- أيْ صورةٍ واضحة وجلية، فالرجالُ تُعرفُ بأفعالها ، وتعرفُ بمواقفها وأخلاقها، فلا تسجل إلا ما يحفظك ويصونُ كرامتك ، وإياك أن يُرى منك السفه أو الزيف والهراء، وما أكثرهم هذه الأيام .. فلقد سطعت بضاعتهم، وانتشرت مواقفُهم وبلاويهم، التي تُخلُّ بوصف الرجولة ، أو تسلبهم المروءة وأخواتها...

- وهذه الحكمةُ الشعرية تُنسبُ لعلي رضي الله عنه ، وقد تضمنت معانٍ أخرى جميلة ضمن مقطوعة فاخرة ، وفيها يقول: ما الفَضلُ إِلا لِأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ...عَلى الهُدى لِمَنِ اِستَهدى أَدِلّاءُ.. وَضِدُّ كُلِّ اِمرِئٍ ما كانَ يَجهَلُهُ... وَالجاهِلونَ لِأَهلِ العِلمِ أَعداءُ..

- ومن أجلّ المحاسن المحمولة: العلم وفقهه، والفهم وطلبه، وهو تميز نادر، ومرتبة عالية، وسيحسدك آخرون عليها ، فلا تكترث لهم، وعش جادًا مواصلا لما أنتَ عليه .
- ولكن تلك المحاسن تتطلب مقدماتٍ من العملِ الدؤوب ، والجهد المتواصل ، والإتقان المبكر ، واستثمار الفرص، ومسابقة الزمان.. وأما العيشُ سبهللاً على هامش الحياة ، والعكوف للطعامِ والملذات ، فهذا لا يصنع تميزا ، ولا يشيد مفخرةً، والله الموفق .

٢٦/ فقلتُ ولم أملك سوابق عبرتي..!

******

• الفقدُ للأحبة شديدٌ عند الناس، والفراقُ مؤلمٌ عند ذوي المشاعر، وذهاب المال وصفقة التجارة ، وقعٌ محزنٌ على التجار ... ويزيد عليهم العلماء بفقدٍ آخر ، وهو ذهاب الكتب أو ضياعها أو بيعها عند الحاجة والافتقار... وهنا أبو الحسن الفالي رحمه الله يضطر لبيع نسخة عزيزة من "كتاب الجمهرة " لابن دريد بسبب الفقر، فينشد قائلًا لزوجته :

فقلتُ ولم أملك سوابق عبرة...مقالة مكويّ الفؤاد حزينِ..

وَقَدْ تُخْرِجُ الحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... كَرَائِمَ مِنْ رَبٍّ بهنَّ

ضَـنِيْنِ.. يعنـي لـولا الحاجـة لمـا باعهـا، والعلـم والكتـب وجمعها قد يكون مفقراً لبعض الناس ..

- وهذه من روائعِه البهية ، وفي بدايتها عبَّر عن علاقته الوشيجة بالكتاب فقال :

أنستُ بها عشرين حولًا وبعتُها ** لقد طالَ وجْدي بعدها وحنيني
ومـا كـان ظنـي أننـي سـأبيعُها ** ولو خلّدتني في السجونِ ديوني
ولكن لضـعفٍ وافتقـارٍ وصـبيةٍ ** صـغارٍ علـيهم تستهلُّ شـؤوني
فقلتُ ولم أملِك سوابقَ عبرتي ** مقالـةَ مكـويِّ الفـؤادِ حـزينِ

- وهذا نوعٌ من عشقِ العلماء للكتب، وهيـامهم بالمعرفـة، وأن غـلاءَ الكتـب علـى نفوسـهم يفـوقُ المـال والولـد والمنـزل،

ولكنهم لضغوطات الحياة ، وفتنة البنين يضطرون أحيانا للتخفف عنها بالبيع، على أمل من تحسنِ الأوضاع واستردادها مرةً أخرى ..

- وهذا شيءٌ درج عليه العلماء، محبة الكتب والهيامُ بها، وأنها لا تباع مطلقًا ، حتى إنَّ الزوجات ليستنكرنّ ذلك، يقول بعضهم : قالتْ وأبدتْ صفحةً.. كالشمس من تحت القناعِ..
بعتَ الدفاترَ وهي آخرُ.. ما يبُاع من المتاعِ.. فأجبتُها ويدي على.. كبدي وهمَّت بانصداعِ.. لا تعجبي مما رأيتِ ...
فنحن في زمن الضياع..

• وزمن الضياع المنكي في عصرنا أن يزهدَ في الكتب ، وتباعَ بعد التخرج ، وتُهجر هجرانا طويلا ، وتترك لا اهتمام ولا قراءة ولا حفاوة ، والله المستعان .

٢٧/ كنقصِ القادرينَ على التمامِ..!

******

- عـادةٌ بشـريةٌ سـئية ، ومسـلكٌ اجتمـاعي مهـين، أن نشـرعَ في أعمالنـا ولا نتمهـا ، ونبتـديها ونقصـر فيهـا، وننشـئها ونتـأخر فيها... وليس ثمة مرضٌ أو عائق ، أو شـغلٌ يحـولُ عنهـا... كمـا قـال القائـل : وَلـم أرَ في عُيُـوبِ النّـاسِ عيبًـا ...كَـنَقصِ القـادِرِينَ علـى التّمَـامِ..! وفي السـنة مصـداقه وهـي أبلـغُ وأحكمُ..(الناسُ كإبلٍ مائة لا تكاد تجد فيها راحلة) ، لأنهـا إذا وُجدت تقاعست أو اعتذرت ، أو تمارضـت..! وللمتنبـي نظيره أيضًا: وما كلُّ هاوٍ للجميلِ بفاعلٍ... ولا كـلُّ فعـالٍ لـه بمُتممِ..

- فتمِّم عملَك ، واستحضرْ رقابةَ الله عليك ، ثم عيون الناس وشهودهم، واتركْ بصمةً من الخير والمصداقية والإتقان ، وفي السنة الصحيحة :(إن اللهَ يحبُّ إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه).

- وأولُّ مفرداتِ الإتقان: خوفُ الله، وضبطُ الأمانة ، والإنجازُ ، وطلبُ الانشراح ، وكسبُ الثواب ، والذكرُ الحسن .

- ولذلكَ من أسبابِ تأخرنا ، بطؤنا في الإنجاز، وتراكمُ المهام ، وتثبيطُ المتقنين ، وإشاعةُ ثقافة الكسل والتأجيل ، والخلودُ للعادات القاتلة ، وتحجيمُ صور الإبداع الوظيفي .. تلقاه نشيطا فاضلاً، ولكنَّ الكسلَ يحوطه، والبطءَ يخنقه،

والتسـويفَ صـديقه، وتبديـد الوقـت سـميرهُ وجليسـه، والله المستعان .

- ومن جماليات إسلامنا: تحقيق مقصـود الأمانـة ، والإتقـان في العمل، وتشجيع الإنجـاز ، ومسـاعدة النـاس ، وأخـذ الأمـور بعزمة وقوة..(يَا يَحْيَى خُذِ الكِتَابَ بِقُوَّةٍ) سورة مريم .
- فانضمَّ لحـزب المتمِّـين أعمـالهم ، ولـيس الناقصـين ، الـذين يسرقون من أمانتهم ، ودينهم ، ووقتهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وحسبنا اللهُ ونعم الوكيل ، والسلام .

٢٨/ فوددتُ تقبيلَ السيوفَ لأنها ..!

******

- هل هذه شجاعةٌ مفرطة، أو استطعامٌ لحُمام الموت ورهبته.. أو لذاذةٌ يعيشها الشاعر الجاهلي عنترة، فيصور لنا صولته للخصوم بدنوه من معشوقته... فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السيوف لأَنَّهَا... لَمَعَتْ كَبَارِقِ ثَغْرِكِ الْمُتَبَسِّمِ...! فجعل ميادينَ الخوف والرهبة، كالحب والوصال، أو أنه متلذذ فيها كتلذذه بحليلته، فتهون الحربُ، وينزاح عنه الرعبُ والتهيب...! وقبلها يقول: لَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ نَوَاهِلٌ... مِنِّي وَبِيضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي...! أي قد نهلت الرماح من دمي

وشربت السيوف، فتجلت حمرتها على السيوف فتذكرتك ، فعانقتها حبًا وشغفًا...

- فهذه الصورةُ المرعبة في الحرب ذكّرته محبوبته، فسارع في حبها والتعلق بها ، لكأنه في ملحمة عاطفية وليست دموية، تفر لها الأبطال ، وهذه من أعاجيب الصور الفنية في الشعر العربي..

- وقد حُكيَ من شجاعته ما يشبه الأساطير ، وشعره يفور بذلك كله، والشجاعة صفة كريمة ، يتخلق بها الرجال الأبطال ، وقد ضرب السلف الكرام أروع النماذج في ذلك ، وكان تشوقهم للموت أشدَّ من حب الحياةِ ، وهو ما نقله عميرُ بن وهب وهو مع المشركين في بدر، حينما يذهب يستطلع

الجيش المدني ، قال : "ما وجدت شيئًا، ولكني قد رأيت يا معشر قريشٍ البلايا تحملُ المنايا، نواضحُ يثربَ ، تحملُ الموتَ الناقع، قوم ليس معهم منَعةٌ ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم ، حتى يَقتلَ رجلاً منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادكم، فما خيرُ العيش بعد ذلك، فرُوا رأيَكم".

- ومنهم علي رضي الله عنه وقصته في خيبر مشهورة، واجتمعت فيها البسالةُ مع الشعر " لما خرَج مَرحَبٌ اليهودي فقال : (قد علِمَتْ خيبرُ أنِّي مَرْحَبُ شاكي السِّلاحِ بطَلٌ مجرَّبُ) (إذا الحروبُ أقبَلَتْ تَلَهَّبُ) فقال علِيُّ بنُ أبي طالبٍ : (أنا الَّذي سمَّتْني أمِّي حَيْدَرَهْ... كلَيْثِ غاباتٍ كريهِ

المنظَرَهْ ... أُوفِيهم بالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ) قال : فضرَبه ففلَق رأسَ مَرْحَبٍ فقتَله وكان الفتحُ على يدَيْ علِيٍّ بنِ أبي طالبٍ". ولله الحمد والمنة .

٢٩/ وترى الشوكَ في الورودِ وتعمَى...!

******

- ليست الدنيا –مع فتنتها – شراً محضًا، بل فيها أشياءُ يمكن استثمارُها ، وفيها منافذُ للخير والعمل، وفيها علمٌ وحضارة ، ودعوةٌ واستنارة ، وبناءٌ وتربية، وجمالٌ وحدائقٌ ...! ولا يصح تصنيفها بالشرور والحروب والكروب ، كما قال القائل مستنكرًا على الذي لا يرى إلا بعين الكآبة والسقم : وترى الشوكَ في الورود وتعمَى .... أن ترى فوقَها الندى إكليلا .. هو عبءٌ على الحياة ثقيلٌ.. من يظنُّ الحياةَ عبئًا ثقيلاً..

- نعم لا يقول ذلكَ إلا من هو عبء ثقيلٌ في فكره وسلوكه، وفي منطقه وخلقه، والواجبُ -وهو مسلم- تجاوزُ ذلك، وسؤالُ الله العون والتوفيق ، وتغليب النظرة الإيجابية للحياة..! لأن الكآبةَ والضيقة الجاثمة ، تُعمق من السوء والاشمئزاز ، فيصبح سقيما على كل الأحوال ، سوداويًا في كل الظروف، وأمام الزهر والمسرات ، والله المستعان .

- فالزهرُ وإن بدا فيه شوك .. له ورق جميل، وغصن مبتل، وأثمار جميلة ، وروائح زكية ، فخذ من المنظر حسنه وطيبه، واترك سيئه وقبيحه .

- وكذلك كلُّ أصناف الدنيا ، فيها الخيرُ والشر ، والطيبُ والخبيث، ولو غلبنا أو الغينا جانبًا على آخر ، لاختل توازننا

، والنظـرة الصـحيحة الإنصـاف والإيجابيـة ، وامتطـاء صـهوة التفاؤل في تقييم الأمور ، وقد كان صلّى اللهُ عليه وسلم يعجبه الفألُ ، وهو الكلمة الطيبة ، وفي القرآنِ :(الَّذِي خَلَقَ المَـوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) سورة الملك .

- لنكن في الحياةِ متفائلين منشرحين، كما هو المنهـاجُ النبـوي، ونعتقـد أن فـرجَ الله قـادم ، ونصـره آتٍ، ولـو ضـاقت السـبل، وانسـدت الحجـب ، فمـا ضـاقت إلا لتُفـرج ، ومـا عـزت إلا لتنحلّ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديبية ، وقد مُنعوا البيت، وطـال التفـاوض بيـن الخصـمين، لمـا رأى سـهيل بـن عمرو :(لقد سَهُلَ لكم مِن أمركم). والله الموفق .

٣٠/ خاذِلاً ما بِتُّ أشكو النوَبا...!

❊❊❊❊❊❊

• في الحيــاة ، كمــا معلــومٌ، نــوبٌ وبلايــا وأرزاءٌ، ولكنهــا عنــد التأمل ، لها أسبابٌ ، ووراءها محركات ، وشـخوصٌ تهزهـا، ولـذلك مـن أهـمِّ أسـبابها ، بعـد الضـعف الـذاتي ، وجـودُ المخـذلين، وفشـوُّ المـرجفين ، الـذين يحولـون دون العلـم والتطـور ، أو الـدفاع والمجابهـة، ويكتفـون بوسـائل مهينـة ، يعتقـدون حسـنها وصـوابها... ولـذلك قـال حـافظ ابـراهيم رحمه الله : أَنا لَولا أَنَّ لي مِن أُمَّتي... خاذِلاً ما بِتُّ أَشكو النُوَبـا ..! أي خـذلان بعـض بني قـومي صـيرني مهزومًـا أمـام النوب ، وقد عظُم كربي، واشتدَّ غمي...!

- وسببُ الخذلان ضعفُ تربيتهم ، وركونُهم للعدو، وفقدانهم هويتهم وضعف انتمائهم ، وطمعهم الدنيوي الذي يجعلهم يكونوا سماسرةً مأجورة للعدو، فيخترق الأمة ، والبلاد من طريقهم..! كما قال بعضهم : وإخوان حسبتهم دروعـــــــا فكانوها ولكن للأعادي وخلتهم سهام صائبـــــــات فكانوها ولكن في فؤادي..

- ولذلك منهم ضعفاء النفوس ، ومنافقون صريحون في العداوة، وإن كانوا قد لا يظهرونها ابتداءً، لكنهم في أشكال المنافقين وصفاتهم تحطيما وتثبيطا ، وإرجافًا وتخويفًا، ومنهم دخلاء يؤتى بهم للحاجة ، فتنقلب مهمتهم إلى تجسس واختراق ، وافتئات ونكران ، والله المستعان .

• ثم يقول : أُمَّةٌ قَد فَتَّ في ساعِدِها... بُغضُها الأَهلَ وَحُبُّ الغُرَبا..! وهؤلاء هم الدخلاء الذين جعلتهم محل ثقتهم وتقديرهم فكادوا عليها...! ومن مهامهم تهوينُ المخاطر، وتبسيطُ الأعادي ، وتعميقُ اللهو والضياع كما قيل : وَهيَ وَالأَحداثُ تَستَهدِفُها... تَعشَقُ اللَهوَ وَتَهوى الطَرَبا..! ومن استدام عشقها ذلّ وخسر خسرانا عظيمًا ، والسلام..!

٣١/ فيجيبني برياحه الهوجاءِ..!

******

- أحدُنا أحوجُ ما يكونُ في مصابه إلى من يثبّته أو يسلّيه، أو يُفرحه وينسيه، وليس من يشعلُ مصابه، أو يضاعفُ قلقه، أو يوسعُ حزنه...! كلا...! فذلك محضُ خطأ، لا سيما من الأصدقاء والأحباء... كما قال القائلُ ساخرًا من ذلك المسلك، في صورةٍ أخويةٍ مع البحر : شاكٍ على البحرِ اظطرابَ خواطري... فيُجيبُني برياحِه الهوجاءِ..

- ومن المؤسفِ أن يتحول بعضُ الأصدقاءِ من صديقٍ حانٍ، إلى صديقٍ أهوج، ومن خلٍّ كريم، إلى جليس لئيم ، فيفتح

عليك تنغيصًا كان مغلقًا ، وهمًا كان منكدرا ، فيستحثها من جديد، ويبتعثها من عسر سحيق...

- ولذلك تخيّروا أصدقاءكم ، والتمسوا الأوفياء، كما تلتمسوا طعامكم وحسنه، فثمة صداقات خائبة ، تنكشفُ في الشدائد ، ويُبلَون في النوائب ، فتكون كالريح الهوجاء، لا عقل ولا وعي، ولا اتزان .

- هذا معنى للتقريب ، وقد تنبعث الريحُ الهوجاء بسبب نفسيته الضيقة، أو تعبيرًا عن كثرة الهموم والأحزان..! والحلُّ حينها النظرةُ الايجابية والنفسية المتفائلة ، والغذاء الروحي الذي ينهلُ من عُباب الذكر والحمد، فيلهج توحيدًا وحبًا وثناءً على خالقه تعالى . وقد "كانَ صلّى اللهُ عليه وسلم يستعيذُ

بالله من الحزن والهم" ، وعلـم المكـروبَ يقـول :(لا إلـه إلا أنـت سـبحانك إني كنـت مـن الظـالمين) في أدعيـة صـحيحة مشهورة .

- فيـا صـديقـًا.. فـتّ في عضُـد صـاحبه ، تعلّـم فنـون الإخـوة ، وافقه النفوسَ قبل المجالسة والمجاملة ، فكم من صديقٍ قتل بصراحته الفجة، وكم من غريب طارئ ، فهـم الحيـاةَ، وأمتـع البئيس والمكروب... كما قيل : ولابـدَّ مـن شـكوى إلـى ذي مروءةٍ... يواسيكَ أو يسليكَ أو يتوجعُ .. والسلام...!

٣٢/ أنا راضٍ بكل ما كتبَ اللّهُ..!

******

• شيمةُ المؤمن ومخرجُه من هموم الحياة خصلةُ الرضا ، يلتحفها ، وستخفُّ آلامُه بعد ذلك ، ويلهجُ بها حمدًا ، وستزولُ أحزانُه ، ويبتديها ، وسيغلبُ شيطانه وأهواءه ، كما قال الشاعر السوداني محمد حمام : أنا راضٍ بكل ما كتبَ اللهُ ... ومزجٍ إليه حمدًا جزيلا..! وفي الصحيح قال المصطفى الكريم عليه الصلاة والسلام :(عَجَبـًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لأِحَدٍ إِلاَّ للْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيراً لَهُ). رواه مسلم.

- ونوعٌ من تلك الخيرية سرورٌ داخلي يجده في نفسه، ولذةٌ تَطيب خاطره، وانشراحٌ يدفع كربه ومحنته، فالله لا يضيع أجرَ المحسنين . وعندئذ لن يكترث للدنيا كثيرًا ، وسيعذر غنيًا في غناه، وحاسداً في حسده، وعدوًا في تربصه، وفقرًا ألمّ به، وسيرزقه اللهُ القناعة الدائمة..(اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا)، واشتهر عَنْ إمام اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله قوله :" إني لأغلقُ عليّ بابي فما يجاوزه همي " . والله لا يقضي لأهل الإيمان إلا خيرا.
- ويقول قبلها ليغرس هذا المعنى الزكي، وهو المؤمن الصبور الرضيّ: علمتني الحياة أن أتلقى كل ألوانها رضا وقبولا..

ورأيت الرضا يخفف أثقالي.. ويلقي على المآسي سدولا..

والذي ألهم الرضا لا تراه أبد الدهر حاسدا أو عذولاً...

- نعم سيطهر قلبه من الحسد والضغينة ، ومن الضيقة والسخيمة، وسيتسع سعادةً وأمنًا ورخاءً، وستزولُ عنه همومٌ كبار، ومحازن ثقال ، وبلايا كالجبال ، وقد كان من هديه صلّى اللهُ عليه وسلم إذا جاءه أمر يسؤوه يقول : "الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ، وإذا رأى ما يسرُّهُ قالَ : الحمدُ للهِ الَّذي بنعمتِهِ تتمُّ الصَّالحاتُ ".

- وهذه حليةٌ من الرضا الجميل ، تقذفُ فيك الإيمانَ بخالقِ الكون ومدبره، وأن نواصينا بين يديه، يعطي ويمنع، ويقبض ويبسط، ويمنح ويبتلي، حكمةً منه وتقديرًا .. وأن أمرَ المؤمن

كلـه لـه خيـر... (وعسـى أن تكرهـوا شـيئًا وهـو خيـر لكـم ،

وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

والله يعلم وأنتمُ لا تعلمون) سورة البقرة .

٣٣/ وَلَقَدْ بَكَيْتُ على الشَّبابِ وَلِمَّتي...

❋❋❋❋❋❋

- ليس ثمة مرحلةٌ عمرية طابت واستطابت كلحظةِ الشبابِ الوارف الصافي .. فهي أخصبُ مراحلِ العمر، وأعطاها عملًا ، وأنداها حسنًا وطلاوة ، للفرد ذاته ولوطنه وأمته ، ولذلك كان اغتنامها مُلحًا ، ومقصودا في الحِكم والمواعظ والقوانين البشرية ، وحض عليها الإسلامُ ورغب فيها قبل الذهاب والانصراف العمري.... وهنا يقول المتنبي : وَلَقَد بَكَيتُ عَلى الشَبابِ وَلِمَّتي.. مُسوَدَّةٌ وَلِماءِ وَجهِيَ رَونَقُ..! وكيف لا يُبكى عليه وفيه حدُّ العمر وحدّته ، وحلوه وزينته، ومجدُه وطرافته ، وطيبه وفراستُه... ولذلك يدركه الشيوخ والعجائز

ويتمنون لو تأخر بهم قليلا ، أو عاش معهم طويلًا ،...! وفي الحديث الصحيح :(وشبابَك قبل هرمك) لأنَّ الهرمَ مرضٌ واعتلال، وتعبٌ وانحلال ، وثِقَل وأرزاء... وبدلًا من أن يسارع في اكتسابه ، بكى عليه وهو في نضارة الشباب ، وشعره مسود اللمة ، ووجهه نديٌّ صبوح، وهذا من الاستشراف الشعري الجميل..

- والعجيبُ أن الشاعرَ حزِن من هذا الوجه ، وزاد حزنا مستقبليًا ، وهو توقعُ يوم فراقه ، أو الشعور بدنوّه ... ولذلك قال عَقيبه : حَذَراً عَلَيهِ قَبلَ يَومِ فِراقِهِ.. . حَتّى لَكِدتُ بِماءِ جَفنِيَ أَشرَقُ..! وينعدم بصره من كثرة البكاء الغاصة ، والتوجع الأليم.

• والشـاعرُ هنـا إمـا أن : يكـون عـاقلًا أو واعظًـا ، اسـتيقظَ عقله، واتسع فكره ، وتذكر لحظات تصرم الشباب المقبلة ، وهو يخالطها عند جلاسه. أو أنه مارس المنطق الوعظي الدارج في التحذير من تبديد الشباب، والمبادرةِ في استغلاله، وعلى كلا الجهتين المتنبي مبدع هنا، سواء بعقله الفسيح المستشرف، أو بوعظه المستذكر اللطيف ..! وكأنه يقول للباكينَ زمنَ الشيخوخة، أنا أبكيه من هذه اللحظات النضِرة، والسلام .

٣٤/ تغطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنَّني..!

******

- ما أجملَ أن يوضعَ المالُ في مظانه، وتُقضى به حوائج، وتُغطَّى به معايب، فيُكرمُ به العلماء، ويُطعمُ به الفقراء، ويستقبلُ الوجهاء، -وهو خلق إسلامي- لا سيما لمن لديه أزمات يعيشها، أو فاتهُ علمٌ ومكانة، ولم يبق له إلا مالُه الفسيح، وثروته الباذخة،؟لتدفعَ عنه، على حد قول القائل المجهول.. : تغطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنَّني... أرى كلَّ عيبٍ والسَّخاءُ غطاؤُه..!

- فيحتسبُ مثلَ ذلك، ويمحو به خصالاً كدرت، أو مواقف عكرت، أو منازل نقصت .. وسيجني إذا صحت النية

محاسنَ باهرة، وخيرات وافرة ، من جـراء بـذل غـامر، وجـود عامر، وإنفاق لا حدودَ له، بحيث يعطي عطاء زاهرا وزاخـراً، يقضي ويكرم، ويمنح ويساعد... وهو أنفس مـا اسـتعمل لـه المال، وابتغي به وجـه الله تعـالى ، ويتمناهـا الرائـي ، حتـى إن الشارع ليمدح تلك الصورة الحسناء ويـرخص فيهـا الحسـد والغبطة ، كما في الصحيحين : (لا حَسَدَ إلا في اثنتين وذكـرَ : رجل آتاه الله مالا، فسَلَّطَه على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ) أي وضـعه في مواضعه .

- وأما الاستبخالُ بِهِ فمنكرٌ معيب ، وإذا ضُمّ مع خصالٍ ذميمة، فسيلُمُّ عليك بغضًا ونكدا ، ولـن يبارِكَ لـك فيـه ، ويصـبح أحدهم حديثَ الناس سوءًا ونقدا واستصغارا.!

- وإذا اجتمعَ لك فقهُ المال مع التدين فزتَ بالخَيرين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نِعمَ المالُ الصالح للمرء الصالح). وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: "يا حبذا المالُ، أَصِلُ منه رَحِمي، وأتقرَّب إلى ربي ". وعن قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه: أنه قال لبنيه: "عليكم بإصلاح المال؛ فإنه مَنْبهةٌ للكريم، ويُستغنى به عن اللئيم".

والله الموفق .

٣٥/ سَيَلْقَى الشامتونَ كما لَقينا..!

******

- إياكَ وخلقَ الشماتة والسخرية من الآخرين، فهي مذمومةٌ شرعًا وعرفًا وخلقـًا، لأنها لا تليقُ بذي عقلٍ ولا صاحبِ مروءة ، والأيامُ دولٌ، فربما عادت عليك بضرائها وفداحتها ... ولذلك قال القائل: فقُلْ للشامتينَ بنا أَفيقُوا ... سَيَلْقَى الشامتُونَ كما لَقينَا..

- ويُروى في السنة : (لا تُظهِرِ الشَّماتةَ لأخيك ، فيرحَمْه اللهُ ويبتليك). وفي القرآن :(وتلك الأيامُ نداولها بين الناس) سورة آل عمران. وطبيعة الأيام التقلبُ والاختلاف ، والدهرُ

ظرفٌ للحوادث في أيةِ لحظة ، إن سلمت زمنًا لم تسلم في آخر ، ولذلك قال فيها :

إِذَا ما الدَّهْرُ جَرَّ على أُناسٍ ** حَوَادِثَهُ أَناخَ بآخَرينا

كذاكَ الدهرُ دولتهُ سجالٌ ** تكرُّ صروفهُ حينًا فحينا

- والمحصلُّ أنها ممنوعةٌ بين المسلمين ، لا تجوز ، لكنها في حق الكفار تجوز، قال تعالى: ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ﴾. سورة التوبة . وقد استعاذ صلّى اللهُ عليه وسلم من شماتة الأعداء ، وأمرَ عمر أن يرد على أَبي سفيان في غزاة أحد كما هو مشهور ..!

- والحياةُ دليلٌ محسوسٌ على انقلاب الشماتة على أصحابها ، وصيرورتهم مبتلَين بمثل ما عيّروا به، أو أضعف ، وما ربك بغافل عما يعملون ، والله تعالى أعلم.

٣٦/ كُنتم لِأرواحِنا إلّا رَياحينا..!

******

- لا يَعدلُ الوصالُ شيئًا في الحياة، تتلاقى فيه الأرواح ، ويعذبُ الصفاء، ويطيبُ الأنسُ والطعام ..! والجفاءُ مرٌّ وبلاء، وقد يتحول إلى قطيعة وضرار ، ولذلك صوره الشاعر كرائحة الوِرد الزاكية ، وبالريحان المتدفق نسيمًا عطِرًا ، وشذاً طيبًا ...: لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السُرورِ فَما ...كُنتُم لِأَرواحِنا إِلّا رَياحينا..! وهو وإنْ قاله في المحبوبة إلا إنه لائقٌ بكل وصال ولقاء ، بين الأقارب والأحبة ، أو الأصدقاء والجيران ...

- وبه تتعمقُ الصلاتُ، وتتجددُ المشاعر ، ويتعارفُ الجميع ، وتشتد المروءة، ويعظمُ الجود والعطاء ، (والأرواحُ جنودٌ

مجنـدةٌ مـا تعـارف منهـا ائتلـف ، ومـا تنـاكر منهـا اختلـف).

فأحبوا إخوانكم ، وأحسنوا صحبة أحبائكم وخياركم ...

- ولذلك تبقى ذكرياتُ الأحباب جميلة ، لا تنسى ولـو أيّـام الطفولـة ، أو الزمالـة المهنيـة ، ولهـا حنـينٌ عـابق، وتـذكارٌ فـائح... يعيشـها الصـديق لصـديقه ، والـزوج لزوجتـه ، والمحب لحبيبه ...فيقول فيها أيضًا:

بِنتُم وَبِنّا فَما اِبتَلَّت جَوانِحُنا ** شَوقًا إِلَيكُم وَلا جَفَّت مَآقينا

نَكادُ حينَ تُناجيكُم ضَمائِرُنا ** يَقضي عَلَينا الأَسى لَولا تَأَسّينا

- ولـذلك يبقـى الوفـاءُ في الصـداقات الحسـنة ، كمـا حصـل لرسول الله مع زوجته خديجة رضي الله عنها " استأذنتْ هالة

بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله ﷺ فعرف استئذان خديجة، فارتاح لذلك فقال: اللهم هالة بنت خويلد". وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يَسعهنّ، وفي رواية: كان إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة ". والله الموفق .

٣٧/ فليسَ له من ودهنّ نصيبُ..!

❊❊❊❊❊❊

- ما أكثرَ ما تكلمَ الناسُ في صفات الزوجية ، وأخلاقِ المرأة ، وسمات الرجل، وأسباب العشرة ومقوماتها ، ولعل من أشهر ما كُتبَ عن النساء ، واكتُشف من خلاله موضعُ الرغبة لديهن في الرجال ... كما قالَ علقمة الشاعر الجاهلي : إذا شابَ رأسُ المرء أو قلَّ مالُه... فليس له من ودهنَّ نصيبُ.. فالتعلق عندهنّ غالبًا بالفتوة ووفرة المال، وانعدامُها يعني فصولًا من المشكلات والمنغصات ...

- وليس هذا مطردًا في الكل، بل على الغالب ، لأن ثمةَ نساء ضربنَ أروعَ الأمثلة في الصبر ودعم الزوج، واحتمال شظف

العـيش . لكـن ابتـداءً المـرأة ممهـورةٌ ولهـا هديـةٌ وحقـوق ، وتحـبُّ الزينـة والمتـاع، وكـأن ذلـك فيهـا جبلّـة وفطـرة ، ..! عكـس الرجـل ، الـذي يعتقـد كفايـةَ المهـر المبـذول أولاً للسعادة والتعاون بعد ذلك، ولو ضاقت المعيشة ..

- والمرأةُ التي تبالغُ في ذلك قد لا تستحقُ أن يعاشَ معها ويصبر عليها بسب التململِ الزائـد ، وهوسِـها المـادي ، وقـد جـاء في السنة ما يدل على مفارقـة المـرأة الشـكَّاية ، كمـا في قصـة بنـاء البيت وحـديث إبـراهيم وإسـماعيل عليهمـا السـلام ، كمـا في الصحيح قال : " فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَما تَـزَوَّجَ إِسْـمَاعِيلُ يُطَـالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَـأَلَ امْرَأَتَـهُ عنْـه، فَقالَـتْ: خَـرَجَ يَبْتَغِي لنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عن عَيْشِهِمْ وهَيْئَتِهِمْ، فَقالَتْ: نَحْـنُ بشَـرٍّ،

نَحْـنُ فِي ضِـيقٍ وشِـدَّةٍ، فَشَـكَتْ إِلَيْـهِ، قـالَ: فَـإِذَا جَـاءَ زَوْجُـكِ فَـاقْرَئِي عليـه السَّـلَامَ، وقُـولِي لـه: يُغَيِّـرْ عَتَبَـةَ بَابِـهِ، فَلَمَّـا جَـاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شيئًا، فَقالَ: هلْ جَاءَكُمْ مِن أَحَدٍ؟ قالَـتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيخٌ كَذَا وكَـذَا، فَسَـأَلَنَا عَنْـكَ فأَخْبَرْتُـهُ، وسَـأَلَنِي: كيفَ عَيْشُنَا؟ فأَخْبَرْتُهُ أنَّا في جَهْـدٍ وشِـدَّةٍ، قـالَ: فَهلْ أَوْصَـاكِ بشَيءٍ؟ قالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، ويقولُ: غَيِّرْ عَتَبَـةَ بَابِـكَ، قـالَ: ذَاكِ أَبِـي، وقـدْ أَمَرَنِـي أَنْ أُفَارِقَـكِ، الْحَقِـي بأَهْلِـكِ، فَطَلَّقَهَـا، وتَـزَوَّجَ مـنهمْ أُخْـرَى ..." والأخـرى لمـا كانت صالحةً أمره أن يثبّتها ، والله الموفق والهادي إلى سـواء السبيل .

٣٨/ وإنما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها..!

******

- هذه إما أن تكونَ عصاميةً متناهية ، أو لحظةَ خذلانٍ عاشهُ الرجلُ ، وقد تلاشى من حوله ، وتجمَّع عليه شرارٌ وأوباش، فبات ولا يقفُ بأحد ، وانعدمت العلاقات ، ولذا يقولُ : وإنما رجلُ الدنيا وواحدُها... مَن لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلِ.. بسبب بدوّ لؤمِهم ، أو ظهور فرارهم، يصنعُ هو صورةً فذةً للرجل السيد الصبور، والذي اعتماده على ذاته في كل شيء..

- ولذلك يقولُ بعد ذلك : وحُسْنُ ظَنِّكَ بالأيام مَعْجَزَةٌ... فظُنَّ شَرّاً وكنْ منها على وَجَلِ.. غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ

وانفرجت.. مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعَمَلِ.. ونفسه هنا توحي بالخذلان الشديد ، وقلة الوفاء، واندثار المروءة ، وظهور أخلاقيات جديدة ، لا تمت للإسلام ولا للأدب بصلة...

- وكأنه يقول : لا تثق في أحد ، ولا تطمئن لقول، ولا تَسَل أحدًا معروفًا ، وعِشْ وحيدًا فريدًا.. فالمحسنُ قد يمُنّ، واللئيمُ يُشهّر بك ..! وهذه قد تصدق في مراحل وبيئات ، أو أن الرجل قد يعيش حالةً مرضية من جراء ما حصل وعاينه واللهُ المستعان.

- وقد وقع في الشرع ما يدلُّ على منع كثرة السؤال ، وطلب الحوائج، قال: (ولا فتحَ عبدٌ باب مسألة ، إلا فتح اللهُ عليه

باب فقر). وبايع عليه الصلاة والسلام جماعةً من أصحابه ، وشدد في المسألة.. قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَتُطِيعُوا -وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً- وَلاَ تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا»، قال الراوي : فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ". وفي ذلك تربية على العصامية وعلو الهمة، وأن لا يظل دهره معتمدًا على آخرين ، والله المستعان .

٣٩/ في ازديادِ العلم ارغامُ العِدا..!

******

- لا تكادُ تُحصى ثمراتُ العلم ومحاسنُه ، ولو جُمِعت لبلغت المجلداتِ تلوَ المجلدات ، فهو أجلُّ قربة، وأعظمُ طاعةٍ، وأطيبُ لذة، "ولو صُورت صورتُه لكانت أجملَ من الشمس والقمر " ، كما قال الإمام ابنُ القيم رحمه اللهُ ... وهنا يقول ابن الوردي، تاركًا لنا وردةً شعرية مضيئةً... : في ازديادِ العلمِ إرغامُ العِدا ... وجمالُ العلمِ إصلاحُ العملْ..

- فأنتَ به تَعِزُّ مَعزةً عليا، وتُرغم العدو، وتُذلُّ المنافسين، وتخدم به نفسك وبلادك، وتقصدك الدنيا من كل مكان، وتلينُ صعابُها، وترقُّ شدائدها...

• ولكنْ جمالُ العلم في صلاح العمل، وطيب السلوك، وتطبيق المعلوم ، وحسن الاقتداء، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ سورة الأحزاب. وكان قبلها حضَّ على العلم وطلبه، وشحذ الهمةَ له فقال : أطلُبِ العِلمَ ولا تكسَلْ فما ... الخيرَ على أهلِ الكَسَلْ...لأن العلم وعزمته لا تجتمعُ والكسل ، ولا تنجح والهوان قرينُها، ولا تطيب والنوم يدانيها ، ولذلك اطرحْ كل تلك المعوقات، وجدَّ جدًا يطير معه الكسل، واستعذْ بالله منه، وانظر إلى أسلافٍ رحلوا ، وأقطابٍ هاجروا، وتأمل ثمارهم وتركاتهم التي خلفوها لنا، .. قُبضوا من قرون، ولازلنا ننهل من نميرهم وخيراتهم ، رحمهم اللهُ تعالى ، ومن جميلِ الموروث العلمي لعلي رضي الله عنه :

(هتفَ العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل) . والسلام .

٤٠/ فقال: أتبكي كلَّ قبرٍ رأيته...!

❊❊❊❊❊❊

• أحيانًا يبلغُ الوصلُ بأناسٍ مبلغه، فيكرهونَ الفراق، ويحزنونَ للفقد، ولا يحتملونَ مغادرةَ أحبابهم عن الدنيا ، حتى إنّ ذكرَ الموت، أو مشاهدةَ المقابر تذكرهم أحبابهم وتنهلُّ دموعهم، والله المستعان ... يقول مُتممُ بن نويرة في رثاء أخيه مالك :

فقال:أتبكي كلَّ قبرٍ رأيتَه ❊❊ لقبرٍ ثوى بين اللوى والدكادكِ

فقلت له: إن الشجا يبعثُ الشجا ❊❊ فدعني، فهذا كلّهُ قبرُ مالكِ

فهنا عاطفة متدفقة حزينة والشاعر مكلوم مرهف الحس، يبكي على كل قبر يراه، لأنه يتخيله قبر أخيه ! هو يسوّغ بكاءه على قبور غريبة وكل ما يشاهده، بقوله: إن الأسى يبعث الأسى.

فيذكر الملامة التي جعلها على لسان رفيقه، ويرد بالجواب المقنع له مع رفض لومه: دعني، فهذا كله قبر أخي، فالإحساسُ عنده عامٌ متدفق، يتفاعل مع كل مناظر الموت، والله المستعان .

- وفي هذا دليلٌ على عاطفة بعض الناس الممتدة والجياشة، وفيه دليل على هوان الدنيا ونقصانها، وأن منتهاها الفناء ، وآخرنا الافتراق،،.(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ) سورة آل عمران.

- ويجبُ أن يحملَنا ذلك على الاعتبار وحسن العمل والاستعداد، وأن تذكرَ الأخلة مؤلمٌ، ومداواته بالعمل الصالح ، والسلوك المرضي ، وكلُّ ما ذكرتك المقابر ، تذكر مصابَ جيرانك بالسلوان والهم الواحد ، وأنّ الجميعَ لهم ما

رأيت واستطعمت، ففي كل وادٍ بنو سعد ، ولا تخلو جهةٌ من نائبةٍ أو فقدان .

- وفي الإسلامِ نحزنُ باعتدال، وندعو ونترحم ، ونتصدق لهـم ، ونجودُ لهم كما جادوا، ونجددُ محاسنهم كما قال هو : ألـم تـرهُ فينا يُقسّـم مالَـه.. وتـأوي إليـه مـرمِلاتُ الضـرائكِ..! أي الفقراء، والله الموفق .

٤١/ وكلُّ امرئٍ يولي الجميلَ مُحبّبٌ..!

******

- لا تَحسُنُ حياتُنا ولا تعاملاتُنا الاجتماعية، إلا بفعلِ الجميل ، ونشرِ المحاسن ، ورسمِ الأطايب ، وذلك مما يجمِّلُ الحياة ، ويزيلُ كدرَها، ويسهمُ في سعادتها، ويجعل الناس يحبون فاعله ويذكرونه ثناءً وشكرا وامتنانًا ، كما قال المتنبي :

وكلُّ امرئٍ يولي الجميلَ محبّبٌ ** وكل مكانٍ ينبتُ العزَّ طيّبُ

وكيف لا يُحَبُّ المحسن أو لا يشكر الجواد، وقد وهب ما وهب، ونثر من الخير ما نثر.. ويشبه ذلك قول البحتري :

وَأَحَبُّ أَوْطَانِ الْبِلَادِ إِلَى الْفَتَى ** أَرْضٌ يَنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ

- وهذا من أسباب الصيتِ الحسن ومحبة الناس وتقديرهم: الكلمة الطيبة، والجود الفاضل، وقضاء الحوائج ، وإعانة المسكين، وتفريج المكروب وأشباهها، وأقلها لفظةٌ طيبة، وابتسامة صادقة، فلا تحقرنَّ من المعروف شيئًا ...!(وكلُّ معروف صدقة).

- وكذلك المكانُ الذي يُعزِّك تحبه وترتاح إليه ، فهو طيب المنبت ، حلو العيش ، وما أتعبك وآذاكَ تهجره وتنأى عنه... كما تقدم: فاغترب تلق عَنْ الأهل بدل... فبمكث الماء يبقى آسنًا...وسُرى البدرِ به البدرُ اكتملْ..

- ولو تواطأ الناسُ على فعل الجميل ، وقفوِ المحاسن لصلُحت الحياة واستُطيبت ، ولكن هكذا الدنيا فيها أكدارٌ

ومنغصات، والناسُ فيها أخياف متنابذبون ومختلفون في أخلاقهم وعاداتهم ..

- ولن يأسرَ أحدنا قلوب الناس إلا بأخلاق جميلة ، وفعائل حسنة ، ومواقف مستطابة، فلطالما استعبدَ الإنسان إحسانُ... والله الموفق .

٤٢/ قد بيّنوا سنةً للناس تتبعوا..!

******

- هذا من أنفسِ المدحِ للجيل الفريدِ من المهاجرين والأنصار، الـذين حمَـوا هـذا الـدينَ وقـاموا بـه ، فقـد احتـووا رسـول الله وجاهدوا معه وضحّوا في سبيل الله، حيـث قـال حسـان رضـي الله عنه راداً على شاعر بني تميم: إِنَّ الذَوائِبَ مِن فِهرٍ وَإِخوَتَهُم قَد بَيَّنوا سُنَّةً لِلناسِ ..تُتَّبَعُ يَرضى بِها كُـلُّ مَـن كانَـت سَـريرَتُهُ تقـوى الإله وكل الخير يصطنعُ فكانوا سادةَ الناس دينًا وأعظمهـم رسـالةً، وأرقاهم عزًا ومجدًا..

- فأطيبُ محاسنهم تقديمُ هذا الدين ، ونشرُ فضائله في الناس، وتقريبُه للأمم ، ومناصرتهم رسول الله ، فلم يفاخروا بالبغي والعدوان ، أو يتعززوا بالموبقات ، بل بما يرفعهم عند اللهِ وعند خلقه، فهم ذوائبُ القومِ وسادتهم ، شرَّفهم الله بدينه ، وأكرمهم بدعوةِ رسوله .

- لذلك ما استمعَ أحدٌ عاقلٌ لحديثهم أو رأى خلالهم إلا تأثر وانقاد، وعلم أن طريقتهم أحسنُ الطرق، ومنهجهم أحكم المناهج، .. وما تفاخر أحدٌ بالنسب أو بالاطعام والكرم، إلا كانوا أكثر فخرًا منه بما قدموه من حراسة هذا الدين وبذله في العالمين ...

- فالشرف الأكبرُ في حمل هذا الإسلامِ وتبليغه الناس، وليس في مفاخر زايفة ، أو موائد فانية ، فهذا ميدان السباق، ومنتهى العلاء ، وفيه يتنافس المتنافسون...! وقد لقوا في سبيل ذلك المواجع والملاقي حيث يقول بعدها :

قَومٌ إِذا حارَبوا ضَروا عَدُوَّهُمُ ** أَو حاوَلوا النَفعَ في أَشياعِهِم نَفَعوا

سَجِيَّةٌ تِلكَ مِنهُم غَيرُ مُحدَثَةٍ ** إِنَّ الخَلائِقَ حَقّاً شَرُّها البِدَعُ

- وزادوا على ما فيهم من خصال حميدة دينًا منشورا، وخلقًا ممدودًا ، وكرمًا مبسوطا .... فسبقوا الخلائق ، وتجاوزوا القبائل... إِن سابَقوا الناسَ يَومًا فازَ سَبقُهُمُ... أَو وازَنوا

أَهــلَ مَجــدٍ بِالنَــدى مَتَعــوا.. إِن كــانَ في النــاسِ سَــبّاقونَ بَعدَهُــمُ... فَكُلُّ سَبقٍ لِأَدنى سَبقِهِم تَبَعُ...

- والفضــلُ في ذلــك لله الواحــد الأحــد ، ثــم لرســوله الكــريم سيدهم وقائـدهم الـذي أنـارهم وبصَّـرهم ، وعلّمهـم سبلَ المجـد والسـلام ، فآثروهـا علـى مناقـب العـرب القديمـة، ومـآثرهم العتيقـة . وهــم في صــحبته وفي كنفــه وجمــال مواعظـه... أَكـرِم بِقَـومٍ رَسـولُ اللَـهِ قائِـدُهُـم..إِذا تَفَرَّقَـتِ الأَهواءُ وَالشِيَعُ...

- قادَهم بالدِّين والحكمة، فغيّرَ أخلاقهم ، وزاد في صـفاتهم، حتى جعلهم خيرَ أمةٍ أُخرجت للناس، ولله الحمدُ والمنة .

٤٣/ تقصَّدهُ المقدارُ بين صِحَابِهِ..!

******

- هذا سرٌّ من أسرارِ الحياة ..،ومن منا يعرف المقدار ، أو يضرب حسابه ، .. أو يستطيع تحديد ساعته ..(قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ) سورة الصف . يتقصدك الموت وأنت لا تسهر ، ويؤمك بغتة، ويزورك في ملذاتك... وقد تطمئنُ ولا تبالي به، وتغتر بالزينة والشباب... كما قال القائل في وفاة قائدٍ في مُقتبلِ العمر:

تقصَّدهُ المقدارُ بين صِحَابِهِ... على ثقةٍ من دَهْرِهِ وأمانِ...

- ولا تنفعُ الثقةُ مع الدهر ، ولا الأمانُ مع الموت، فهو حاصد البشر، وهادم اللذات، والآتي بلا موعدٍ واستئذان

...(أكثروا من ذكر هاذم اللذات). وفائدة الكثرة ، التوقي والجد ، وحسن العمل والأُهبة، بحيث يكون العبد حاضرَ الذهن في كل اللحظات ، ولا يتيهُ ولا يزيغ...

- وقد يأتي الصغيرُ قبل الكبير ، والوجيه قبل الضعيف ، والصحيح قبل السقيم، سننٌ وضعها الله، وآجال كتبت، ومقادير رصدت ...

- وإذا حضرت ساعته لم يغنِ جيشٌ ولا قوة، ولا دفعَ جنودٌ ومنعة، ولا حمت دروع ولا قلعة .. كما قال عقبها : وَهَل يَنفَعُ الجَيشُ الكَثيرُ اِلتِفافُهُ.. عَلى غَيرِ مَنصورٍ وَغَيرِ مُعانِ..، فلا يعرف الأجلُ صاحب نصرة وقوة ، ولا راعي حزب وطاعة..

- وفيها من روائع الحكمِ الخالدة : فَإِن يَكُ إِنسانًا مَضى لِسَبيلِهِ... فَإِنَّ المَنايا غايَةُ الحَيَوانِ.. نعم هي غايتنا ومنتهانا، والعلمُ بها يعني إحسانَ العمل، وتليين السلوك ، والمسارعة في الخيرات ، والتزود بالزاد المتين، والخيرِ الثمين ، والله الموفق .

٤٤/ واحسرتاهُ لعمرٍ ضاعَ أكثرهُ ...!

******

- قلَّ منَّا من يتفكرُ في ذهابِ الزمان، وانصرامِ الأوقات ، ويراجع نفسه، ويجدد روحه... ويرتقبُ ساعته، وأنه هنا في دار المُهلة وليس المتعة ... ويا كم سنَحت من فرصٍ ، وطابت من مجالسَ ، وحسُنت من أحاديث ، ولكنها لم تُستثمر ، وغلَبتنا الملاهي والتُرهات... ولذلك إذا انتبه العاقل ، تذكرَ وتأسف .. وقال كما يقوله كل ذي حِجر...واحسرتاهُ لعمرٍ ضاع أكثرُه ... والويلُ إن كان باقيه كماضيه...

- والتحسّرُ على الزمن الفائت ، علامةُ يقظةٍ واستبصار، ومؤشر خيرٍ ومراجعة ، وهو يعني الشعور بقيمة الزمن، وشرف الوقت، وأن حقَّها الإعمار ، وليس التبديد والشنار...(أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) سورة فاطر .

- والانتباه فرصةٌ للعلاج والتصحيح ، وبابٌ للتوبة والمحاسبة ، وطريق للملء بالمفيد ... فلا نكرر أخطاءنا، ولا نعيدُ من زلاتنا، ونعلن التوبة الصادقة، ونستبدل المجالس القديمة بمجالس جديدة ، يحيا بها القلبُ، وترجفُ الروح، ويصدع اللسان ذاكرًا تائبا ومحاسبًا ..." والويلُ إن كان باقيه كماضيهِ...! .

- والباقي نعمةٌ جديدة ، ومرحلةٌ مختلفة ، استيقظت فيها الروح ، وصحا الفؤاد ، وحقها التوبة السريعة ، والإنابة الجادة، والاستغفار اللاهج، والله لا يردُّ تائبًا ، بل يفرحُ بتوبة عباده، والسلام ...!

٤٥/ وتجلُّدي للشامتينَ أُريهمُ ...!

******

• يا عجبًا من حياةٍ يشتدُّ تنافُرها ، وتورثُ أهليها أخلاقًا ذميمة، يود بعضُهم السوءَ بأخيه أو بجاره أو بزميل المهمة... ولكن الصبور الفذّ الذي خبَر الحياةَ ، يقاومها بالتجلد والتصبر ، على حد قول الهُذلي : وتجلّدي للشامِتين أُريهِمُ... أنّي لريبِ الدهرِ لا أَتضعضعُ... لأن التضعضعَ هزيمةٌ يتمناها الأعداء ، وضعف يرجوه الحقدةُ، ولذلك قاومها بكل شموخ واتعاظ، وثبات واحتمال، ولا تسقطُ لأدنى اختبار، والله سيعينك ويهديك .

- وزد على التجلدِ ذكرًا عاليًا ، وابتهالا صادقًا ، ودعاء خالصًا ، يفتحُ الله به أسارير قلبك، ويمنحك القوة والنشاط ... ويري الخصوم بانك ثابت عزيز، لا تبالي بالأرزاء، ولا تكدرك الرزايا...

- فريبُ الدهرِ لن يُضعفَك ، ومِحنُه لن تخيفك، وبلاياه في صندوق العزم والتحدي، المحوط بالإيمان والصبر..

(سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً) سورة الطلاق .

- ومن الطرائف الأدبية : أن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- استأذن على معاوية في مرض موته ليعوده، فادّهن معاوية واكتحل، وأمر أن يعقد ويسند، وقال: اِيذنوا له، وليسلم قائمًا ولينصرف، فلما سلّم عليه وولى، أنشد معاوية

قول الهُذَلي في هذه القصيدة: وتجلّدي للشامتين..... فأجابه ابن عباس على الفور: وإذا المنية أنشبت أظفارها... ألفيتَ كل تميمةٍ لا تنفعُ....! ثم خرج من داره حتى سمع الناعية عليه.

- نعم للتجلدِ مدةٌ محدودة ، وللمنية لحظةٌ خاطفة، قد يعرفها بعض الناس بعلاماتها وإرهاصاتها ، والله تعالى أعلم.

٤٦/ وإذا بغى باغٍ عليكَ بجهلهِ ..!

******

- لن تصفوَ لك الحياةُ ، وستُلاقي فيها معكرين ومتعبين، وفيها أذكياء وجهلاء، ومندفعون وعاقلون ، والحكمة احتواء الجميع، والتماهي مع الأذكياء، والتلطف مع الجهلاء ، والصبر على جفائهم وشدتهم ... قَالَ ابن الرومي : وإذا بغى باغٍ عليك بجهله ..فاقتلْه بالمعروف لا بالمنكرِ ... أي لا تقابل السيئة بسيئة مثلها ، بل اقتلها بفعلٍ جميل، أو كلمة طيبة، أو موقف طيب ...

- واجعلْ ما لديكَ من مكارمَ أخلاق تغطّي جهالَته ، وتحتوي حُمقه وبلاهته ، وتأكد أن الاحتواء الإحساني سيقضي على

عنفه وتهوره .. كما قال بعدها: أحسِنْ إليه إذا أساء فأنتما ...

من ذي الجزاءِ بمَسْمَعٍ وبمنظرِ .. فغلّب جانب الإحسان،

فاللهُ مطلع عليكما، وسيجازي الذي أحسن

بالحسنى...(وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ

عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ). سورة الشورى.

- وفي فائدة العفو والردّ بالتي هي أحسن : كسرٌ للمعتدي ، واحتواء للمندفع ، وتأديبٌ للجاهل المتطاول ، واجتناءٌ الثواب، والتباعد عن السفه، وعدم مجاراة البلهاء كما تقدم..

- وهذا درسٌ في الحلم والصبر، وقد كان الصالحونَ قبلنا ، يحلُمونَ في مثل هذه المواقف ، ويستوعبون الجهال، ويدفعون بالتي أحسن كما قال تعالى :(ادفع بالتي هي

أحسن) سورة فصلت ، وقال سبحانه : (خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ) سورة الحجر .

٤٧/ ليتَ المدائحَ تستوفي مناقبَه...!

******

- هذا من أفخرِ ما قيل في ممدوح ، فمحاسنُه جمَّةٌ، وخصالُه عطِرة، ومواقفه باذخه ، وأياديه زاخرة، وتوجَ به المتنبي سيفَ الدولة الحمداني، وعند التدقيق لا يصلحُ إلا لرسول الله عليه الصلاة والسلام، فهو الذي لا تسَعه القصائدُ ، ولا تحتويه الممادح، لزخارةِ صفاته، وعظمةِ مناقبه ... فهو اللائقُ به ...لَيت المَدائِحَ تَستَوفي مَناقِبَهُ... فَما كُلَيبٌ وَأَهلُ الأَعصُرِ الأُوَلِ.. خُذ ما تَراهُ وَدَع شَيئًا سَمِعتَ بِهِ ... في طَلعَةِ الشَمسِ ما يُغنيكَ عَن زُحَلِ...

- فكم كُتبت فيه من مصنفات ، وصيغت من أشعار ومجلدات، ودُبِّجتْ من رسائلَ وتقريرات ، كلها تكرع من عباب مناقبه ولم تنته، ولم تستطع الإحاطة بكل جوانبه صلّى اللهُ عليه وسلم .

- وكانت العربُ تقول : أعزُّ من "كليب"، وهو من فرسانها وأحرارها المشاهير ، فيقول لمادح سابق: لا تذكر آباءه السابقين ككليب وشبهه، ولديكَ المفاخر العيان، والمناقب الجليات ، ففي طلعة الشمس الساطعة ، ما يغنيك عن زحل البعيد المختفي ....

- وفيها مما طاب مدحا : ضاقَ الزَمانُ وَوَجهُ الأَرضِ عَن مَلِكٍ.. مِلءِ الزَمانِ وَمِلءِ السَهلِ وَالجَبَلِ.. فَنَحنُ في جَذَلٍ

وَالرومُ في وَجَلٍ... وَالبَرُّ في شُغُلٍ وَالبَحرُ في خَجَلِ...! يقول نحن في فرح به وبانتصاراته ودفعه عن بلادنا، والروم في خوف منه لغاراته وغزواته. وجيشه قد ملأ البر همةً واستعدادا، والبحر في خجل من ندى يديه، وسخاوة أفضاله.

- والحقيقةُ أن الذي ملأ البر والبحر ذكرًا ومجدا هو رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقد تهيبته العرب، وأذعن له الموافق والمخالف ، حتى إن كعب بن زهير لما هربَ قصدَ القبائل للإجارة من رسول الله ، فغالبهم اعتذر فقال مصورًا حزنه وخذلانه : وقال كلُّ خليلٍ كنت آملَه... لا أُلهينك إني عنك مشغولُ...

- وهذه الشجاعةُ الحقيقيةُ التي تجعل الخصومَ يخافون منه من أماكن بعيدة ، ومصداقُها الحديثُ الصحيح : (نُصرتُ بالرعبِ مسيرةَ شهر).

- وطلعت شمسُ رسول الله في شخصيته الباهرة ، وسننه الزاهرة، وسماته الفاضلة، ومواقفة الحافزة ، وشجاعته النادرة ، التى عاينها الناس، وشاهدها العرب، وسمع بها الأعاجم ، حتى كتبوا فيها ما يبهر ويطرب، والله الموفق .

٤٨/ فضحته شواهدُ الامتحانِ..!

******

• ليس أسوأ من أن يورط المرء نفسه، أو يدعي الفهم وهو جاهل، أو ينبري لموقف وهو عاجز، أو يتعالم وهو مكشوف...فرحم الله امرءا عرفَ قدر نفسه، والتواضع حليةُ الكرام، والاعتراف بالحق فضيلة، والملائكة لما سألها الباري تعالى : (قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَعِلْمَ لنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا). وفي هذ المعنى أنشدوا : مَن تحلّى بغيرِ ما هو فيهِ ... فضَحته شواهدُ الامتحانِ ... فقل : لا أدري ، أو سأنظر في الموضوع، أو سأطالعه من جديد، ولا تدّعي المفهومية وأنت منقوص، أو الجاهزية وأنت معدوم..!

- وشواهدُ الامتحانِ علاماتُها : التأخرُ في العمل، وبدوّ الجهل عليه، وتراكمُ المشكلات ، وفقدان الحلول، والهروب من المواجهة ، وشكايةُ الحاضرين منه، وإخلاله بالالتزام المضبوط ، والحياد الساذج وأشباهها.

- ولذلك لا تستعجل الإنجاز أو المهام أو الظهور، أو بلوغَ الغايات ، وأنت لا زلتَ في أول الطريق...! ولا حرجَ أن تعود وتسأل أو تتعلم أو تدرس من جديد، أو تُعد عُدّتك، وتتحمل أُهبتك ...(خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ). سورة البقرة .

- ونظيرُ هذا المعنى قولُ القائل:

مَن تحلّى بغير ما هو فيهِ ** شأنَ ما في يديهِ ما يدّعيه

وإذا قلّـل الـدعاوى لمـا في ** هـ أضافوا إليه ما ليسَ فيه
ومحلُّ الفتى سيظهرُ للناس ** وإن كــان دائبــا يخفيــه

- ولذلك يسارعُ المؤمنُ الواعي بـالعلم والإتقـان ، وأن لا يُنـزل نفسَه منازلَ الجاهلين واللاغين والمتكلفين، وقـد صـح قولـه صلّى اللهُ عليه وسـلم :(المتشـبعُ بمـا لـم يعـطَ كلابـس ثـوبَي زور). قال العلمـاء : الْمُتَشَـبِّع " أَيْ الْمُتَـزَيِّن بِمَـا لَـيْسَ عِنْـده يَتَكَثَّر بِذَلِكَ وَيَتَزَيَّن بِالْبَاطِلِ ؛ كَالْمَرْأَةِ تَكُون عِنْد الرَّجُـل وَلَهَـا ضَـرَّة فَتَـدَّعِي مِـنْ الْحَـظْـوَة عِنْـد زَوْجهَـا أَكْثَـر مِمَّـا عِنْـده تُرِيـد بِـذَلِكَ غَـيْظ ضَـرَّتها ، وَكَـذَلِكَ هَـذَا فِـي الرِّجَـال ، ومعنـى " كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُور " فَإِنَّهُ الرَّجُل يَلْبِس الثِّيَاب الْمُشْـبِهَة لِثِيَـابِ

الزُّهَّاد يُوهِم أَنَّهُ مِنْهُمْ ، وَيَظْهَر مِنْ التَّخَشُّع وَالتَّقَشُّف أَكْثَر مِمَّا فِـي قَلْبـه مِنْـهُ ... وقـس علـى ذلـك المتعـالم والمتعـاظم ، والملتحف بالأمور وهو لا يملكُ حقائقها ، والله المستعان .

٤٩/ أأبيتَ سهرانَ الدجى وتبيته...!

******

- حينَما تشاهدُ في الحياة عباقرةً ، أو تلحظُ أفذاذاً نوابغ، فاعلم أنهم قد تعبوا على أنفسهم، وقاتلوا في الحياة قتالًا عنيفا ، وسهِروا فيها الليالي، ونصَبوا لأجلها الساعات حتى بلَّغهم اللهُ ما بلغهم من تفوق أو حضور ، أو مكانة علمية واجتماعية... ولذلك لا تعاتبهم وأنتَ كثيرُ النوم، كثيرُ الأكل ، كثيرُ اللهو... كما قال القائل: أأبيت سهرانَ الدجى وتبيتُه.... نومًا وتَبغي بعد ذاكَ لَحاقي..

- فالنومُ المديدُ ضد العبقرية، واللعبُ الفسيح منافٍ للأمجاد ، وضياعُ الوقت من أسباب الضياع والمقت، والله المستعان .

قـال تعـالى :(وَالْعَصْـرِ إِنَّ الإِنسَـانَ لَفِـي خُسْـرٍ) . فاخـذو مـن المعاتبة والغيرة هنا وأنـت ملتصـق التقصـير، متـدثرٌ بالكسـل ورفقة الهيام والتسالي..

• وهؤلاء النجومُ ما سهروا، ولا تعبوا إلا لهمٍّ داخلي عايشـهم، وهمةٍ أقضتهم ، ودافعٍ اعتـراهم، فجعـلَ منهم مشـاعلَ نـور، ومعـالم عـز وفخـار، يطلبـون المعـالي ، ويُرخصـون لأجلهـا النفائس والثروات... ولذلك قال قبلها :

سَهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي ** من وصل غانيةٍ وطيـبِ عِنـاقِ
وتمايلي طربًا لحل عويصةٍ ** أشهى وأحلى من مُدامة ساقي
وصريرُ أقلامي على أوراقها ** أحلـى مـن الـدُّوكاةِ والعشـاق

وألـذُّ مـن نقـرِ الفتـاة لـدفها ** نقري لألقي الرملَ عن أوراقي

أأبيتُ سهران الدجى وتبيتـه ** نومًـا وتَبغـي بعـد ذاك لَحـاقي

- لأنـه ممتنـع في كوكـب الأمجـاد وصـول النـومى والكسـالى والتائهين ، والله الموفق..

٥٠/ ومن يصنعِ المعروفَ في غير أهلهِ..!

******

- الأصلُ في المعروفِ أن يُبذلَ في كل مكان، وأن يوزعَ في الآفاق ، كما هو مقصودُ ديننا وسمحاتنا، ولكن ثمة فئاتٌ من اللئام ، لا يجدي فيها معروفًا ، ولا يغيرُ فيها جميلًا ولا وصالاً..! والسببُ انقلابه ، وجحدُهم، وعدم استصلاحهم لخسة الموضع، وانعدام المروءة والأهلية ، على حد قول القائل: ومنْ يصنع المعروفَ في غير أهلهِ... يلاقي الذي لاقَى مجيرُ امِّ عامر ...

- وأمُّ عامر كنية "الضبع" ، وهي حيوان مفترس ، وفي الناس أفراسٌ وأشراسٌ عديمو الإحساس ، لا تثمرُ فيهم المحاسن ،

ولا تنتجُ الطيبات ، فاعتزالهم أحسنُ الحلول ، وأسلم المسالك...

- فالشهامةُ مع حُسنها ولمعانها، لا تصلح مع نوعيات من البشر ، أبرزهم اللئام والمنافقون ، وشرارُ الخلق والأراذل ، ومنهم السوقة والشراذم، الذين لا يوقرون إنسانا ولا خلقًا...

- ولذلك أتعسُ المواقفِ على القلب، وضعُ الإحسان في غير أهله ، وسكبُ المحاسن في جيف من البشر، يجحدونه ، ولا يتفكرون فيه... ولذلك تعب الكريم الشهمُ على الضبع ولم تبال به كالجاحد واللئيم :

أدام لهـا حـين استجارت بقربـهِ ** طعامـًا وألبـان اللــقاح الـدرائرِ

وسمـَّنها حتى إذا مـــا تكاملــتْ ** فَـرَتــْهُ بأنيــابٍ لهــا وأظــافرِ

فقلْ لذوي المعروفِ هذا جزاء منْ ** بدا يصنعُ المعروفَ في غير شــاكر

- فحـاذرْ مـن وضـع الحسـناتِ في غيـر أهلهـا ، لأنهـا تنقلـب بالضدّ، وتُفسر باللؤم ، ويساءُ نيتها، ويُجحد فضلها وثمرتها، كما قال أبـو الطيـب: إذا أنـتَ أكرمـتَ الكـريم ملكتـه... وإن أنـت أكرمـت اللئيمَ تمـردا ... وهـذا المعنى قـديم في الحيـاةِ الجاهلية قـال زهيـر : ومـن يصـنعِ المعـروفَ في غيـر أهلـه... يكن حمدُه ذمـًا عليـه ويندمِ.. وهـذا الـذم ينكـي فـؤاد الكـريم الباذل، والله الموفق .

٥١/ أما تَعِبتَ من الأعداءِ مَا برحوا..!

******

- هكـذا الأعـداءُ يوجـدون ، ويوجـد الصـراعُ معهـم، والنفـار الفكري والاجتماعي ، لا سيما في حياة الناجحين والمتفوقين ، كما قال القصيبي في حديقة الغروب على لسان محبوبته : أما تعبتَ من الأعداء ما برحوا... يحاورونكَ بالكبريتِ والنارِ.. يعني يكفيك ما جرى في أوائل العمر، لقد طال الزمان ، واشتدت الوعثاء، وكبر الصغار....! فيجيبها : بلى! اكتفيتُ وأضناني السُّرى وشكا ... قلبي العناءَ ولكنْ تلك أقداري...

- ولن تنقطعَ الحياة من بلوى المتميزين ، ومحاصرة المبدعين علما وفكرًا وإنتاجا..، فتلقَى من يكيدُ لهم، أو يتربص بهم، أو يحيك لهم المكائد ... وهي سنة الحياةِ ما من وضيء مبدع، إلا وظهرَ لها أغيار ، أو حساد ، أو مشنئزون كما قال ابن الوردي : ليس يخلو المرءُ من ضد... ولو حاولَ العزلةَ في رأسِ الجبلْ ....

- وفي التعبير بالنارِ والكبريت ، دليل على ضراوة المعركة، أو ظلمها أحيانا ، بحيث تخلو من العدل، وتجافي الإنصاف ، لأنهم متضايقون من مجدك أو ظهورك ، أو بروزك العلمي والمالي أو الوجاهي والإبداعي... فلا تتوقع منهم حوارًا بالماء والورد، أو كلامًا بالعطر والياسمين ... ولا تضحك

على نفسك .. هؤلاء مغرضون ، سلم منهم الأعداء ، ولم يسلم منهم الجيران والأحباب...

- وهذه من روائعِ الشاعر الأخيرة، كتبها لحظاتِ المرض فاحتوت الابتهال والوصف، والدعاء والاعتبار ، والتوبة والأسف... ومنها : ماذا تريدين مني إنَّني شَبَحٌ... يهيمُ ما بين أغلالٍ وأسوارِ.. هذي حديقةُ عمري في الغروب كما رأيتِ... مرعى خريفٍ جائعٍ ضارِ.. الطيرُ هَاجَرَ والأغصانُ شاحبةٌ... والوردُ أطرقَ يبكي عهدَ آذارِ...

- وكذا الزمانُ متقلبٌ ما بين فرحٍ وحزن ، أو سعةٍ وضيق، وانتصار وهزيمة، ولكنه يدفعها بإيمانه وصبره، وذكائه وحكمته...والشاعر برغم المرض وكبر السن ، لا يزال يعلن

الصبرَ والتحدي فيقول: إن ساءلوكِ فقولي: لم أبعْ قلمي... ولم أدنّس بسوق الزيف أفكاري....! وهي رسالة لكل عالم ومثقف ومفكر ، يفقه معالم ذلك وجوهره ...

- ثمّ يختتمُ بالابتهال الرباني، والحنو التائب الأسيف : يا عالمَ الغيبِ! ذنبي أنتَ تعرفُه ... وأنت تعلمُ إعلاني وإسراري... وأنتَ أدرى بإيمانٍ مننتَ به.. علي ما خدشته كلُّ أوزاري.. أحببتُ لقياكَ حسنُ الظن يشفع لي... أيرتُجَى العفو إلاّ عند غفَّارِ؟..! وفي هذا تظهر الأوبة ، وآلام المرض الحامل على الضعف والانكسار ، أحسن اللهُ ختامنا جميعا .

٥٢/ نقطّعُ الدهرَ بحثاً عن طلاوتِه...

******

- حينما يتقدمُ ببعضنا العمر، وكان قد جرَّب مراراتِ الحياةِ ومناراتها، وذاقَ حزنَها ومسراتِها، لا ينفك فيها باحثًا عن السعادة، وطالبًا الراحةَ النفسية ... كما قال القائل: نقطّعُ الدهرَ بحثًا عن طلاوتِه... أو عن سعادةِ إنسانٍ ومُقترِحِ...! فحتى المقترحات والبحوث النفسية لتحسين الحياة يطلبها بعضُ الناس، ويبذلُ لها أموالًا وثروات...

- والسببُ كراهيةُ همِّ الحياةِ وغمها ، والضيقةُ من محنها ومناكدها ، وتلمسُ الحياة الطيبة، الخاليةِ من أكوامِ الكدر والتنكيد .. يرومُ حياةً بلا تنغيص، ومعيشةً بلا ضيق، وجنةً

بـلا متاعـب، وأصـدقاء بـلا غـدرٍ وتزييـف...! وهيهـات هيهات...! فالحياة من طبعها التلون والاختلاف والمراوحة والمزاوجة ...

- لكن تبقى سعادتُها الهانئة ، وصفوها الجميل مطلب الجميع، وغنوة الجماهير، وكلٌ يتمناها ، او يسعى للهدوء والصفاء، والانعـزال القلبـي، حتـى يسـلم لـه العـيش ويفـوز براحتـه وسلوانه... فهو هنا يقطع الدهر، ويسافر كثيـرا ، وربمـا بـدل صداقاته، ولكن دون جدوى ...
- ويبقـى في حـس المـؤمن حسـن الصـلة بربـه، وديمـة الـذكر، والتوكل عليه ، وصنع المعروف والخيرات يـاربّ فـامنَح لنا من طيبِها ذهبـًا... فقد ذهبنا إلى أيامنا القُلُحِ

- ولا ينسَى الشاعرُ الطفولة وحنوَّها، ويفضلها بسبب ما فيها من صفاء وبراءة، ولطفٍ ومسامحة، ونسيان ومودة:

هديةُ الله ذي الأعمارُ وا أسفَى ** على الطفولة صرنا اليوم في جُرَحِ

ونطلبُ الوردةَ الغراءَ إن لنا ** إلى البساطة لحنًا غير مَنبرِحِ

أين الزهور التي في طرفها حورٌ ** وأين منها ينابيعٌ لمنسرَحِ

كلُّ المنازل في شُغلٍ وهاوية ** إلا الطفولةَ في أندائها السُمُحِ

والله الموفق والمعين، والحمد لله علي افضاله ..

تم الكتاب بحمد الله

وتوفيقه .....

المؤلف في سطور

د. حمزة بن فايع إبراهيم آل فتحي

- أستاذ الحديث المساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، ورئيس قسم الشريعة بتهامة .
- شغلَ منصب وكيل القبول.. وشؤون الطلاب لمدة ثلاث سنوات من سنة ١٤٣٥هـ، إلى سنة ١٤٣٧هـ.
- عضو اللجنة الثقافية وجمعية الأيتام بمحايل .
- له ثلاثُ بحوث علمية محكَّمة في السنة منشورة .
- وصنَّف أكثر من (١٠٠) مصنفا في الحديث والدعوة والثقافة منها :
- طلائعُ السلوان في مواعظ رمضان .

- نسماتٌ من أم القرى .
- شجَنُ المنابر وهتن المحابر
- أزمة الفهم .
- مواقف علمية للأئمة الأسلاف.
- سلالمُ العلم ومدارج الفهم.ما يعيش له الجهابذة .
- مخاطر الفكر الثوري والتكفيري .
- أدويةُ الشتات العلمي .
- سلسلة أربعينيات متنوعة منها: النصر ، والبركة، والمعالي. والثباتية. والبلسمية، والسنن الإلهية، والسنوات الخداعات، والذكائية .
- وهو كاتب وناظم .

- ومن الدواوين الشعرية :
- - عاصفةُ الحزم - توهجات النيل - وطن ومنن-مشاعر ومفاخر- محايليات- فهزموهم بإذن الله.
- ومن المنظومات : الكوكب الساري على تراجم البخاري- وسَلسال النهر نظم نخبة الفكر - ومنائر الإسعاد نظم لمعة الاعتقاد وغيرها . والله الموفق .

فهرس الموضوعات

المفتاح..١

١/ ومَن يُثني الأصاغرَ عن مرادٍ ٥

٢/ ما كل ما يتمنى المرء يدركه...!...٩

٣/ ولكنّ أخلاقَ الرجال تضيقُ..! ١٧

٤/ لولا المشقةُ ساد الناس كلهم ..! ٢٠

٥/ تقومُ مقام النصرِ إن فاته النصر ..! ٢٤

٦/ ثمَّ انقضتْ تلك السنونُ وأهلُها ..! ٢٧

٧/ إلَيْهِ هِمَّتي، وَبِهِ اكتِسابي...!..٣٠

٨/ فلم تبق إلا صورةُ اللحم والدمِ..! ٣٤

٩/ فلم يَضِرها وأوهى قرنَه الوعِلُ..!...٣٧

١٠/ لا تَسقني ماءَ الحياةِ بذلةٍ...! ٤٠

١١/ فقوتُ الروح أرواحُ المعاني ..! ٤٤

١٢/ مِنْ شدةِ اليأس لم يخلقْ بمفتاحِ..!...٤٧

١٣/ وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً..! ٥٠

١٤/ بَذلْنا لهُ الأمْوالَ مِن جُلِّ مَالِنا..٥٣

١٥/ فاغتربْ تلقَ عن الأهلِ بدلْ..!...٥٦

١٦/ فقلتُ يا أملي في كلِّ نائبةٍ..! ٥٩

١٧/ سأعيشُ رغم الداء والأعداءِ..!..٦٣

١٨/ فَأَنتَ وَمَن تُجاريهِ سَواءُ..! ٦٦

١٩/ كأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جلالَتِهِ..!..٦٩

٢٠/ وهذه الدارُ لا تبقي على أحدٍ..!...٧٣

٢١/ هي مركزُ الدنيا ومصدر ضوئها...! ٧٦
٢٢/ وَإِذا اِفتَقَرتَ إِلى الذَخائِرِ لَم تَجِد..! ٧٩
٢٣/ سبَتْه المُنى واستعبدته المطامعُ ٨٢
٢٤/ كلُّ شيءٍ مصيره للزوالِ..! ٨٥
٢٥/ وقدرُ كل امرئ ما كان يُحسنه..! ٨٨
٢٦/ فقلتُ ولم أملك سوابق عبرتي..! ٩١
٢٧/ كنقصِ القادرينَ على التمامِ..! ٩٥
٢٨/ فَوددِتُ تقبيلَ السيوف لأنها ..! ٩٨
٢٩/ وترى الشوكَ في الورودِ وتعمَى...! ١٠٢
٣٠/ خاذِلاً ما بِتُّ أَشكو النُوَبا...! ١٠٥
٣١/ فيجيبني برياحه الهوجاءِ..! ١٠٨
٣٢/ أنا راضٍ بكل ما كتبَ اللهُ..! ١١١
٣٣/ وَلَقَدْ بَكَيْتُ على الشَّبابِ وَلمّتي... ١١٥
٣٤/ تغطَّ بأثوابِ السَّخاءِ فإنَّني..! ١١٨
٣٥/ سَيَلْقَى الشامتُونَ كما لَقِينَا..! ١٢١
٣٦/ كُنتُم لِأَرواحِنا إِلّا رَياحينا..! ١٢٤
٣٧/ فليسَ له من ودهنّ نصيبُ..! ١٢٧
٣٨/ وإنّما رجلُ الدُّنيا وواحِدُها..! ١٣٠
٣٩/ في ازديادِ العلم ارغامُ العِدا..! ١٣٣
٤٠/ فقال: أتبكي كلَّ قبرٍ رأيته...! ١٣٥
٤١/ وكلُّ امرئٍ يولي الجميلَ مُحبّبٌ..! ١٣٨
٤٢/ قد بيّنوا سنةً للناس تُتبعوا..! ١٤١
٤٣/ تقصَّدهُ المقدارُ بين صِحَابِهِ..! ١٤٥

٤٤/ واحسرتاهُ لعمرٍ ضاعَ أكثرهُ ١٤٨
٤٥/ وتجلُّدي للشامتينَ أُريهمُ ...! ١٥١
٤٦/ وإذا بغى باغٍ عليكَ بجهلِهِ ..! ١٥٤
٤٧/ ليتَ المدائحَ تستوفي مناقبَه...! ١٥٧
٤٨/ فضحته شواهدُ الامتحانِ..! ١٦١
٤٩/ أأبيتُ سهرانَ الدجى وتبيته...! ١٦٥
٥٠/ ومن يصنعِ المعروفَ في غير أهلِهِ..! ١٦٨
٥١/ أما تَعِبتَ من الأعداءِ مَا برحوا..! ١٧١
٥٢/ نُقطّعُ الدهرَ بحثًا عن طلاوتِه... .... ١٧٥
المؤلف في سطور ١٧٨
فهرس الموضوعات ١٨١